مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد – مجلة علمية محكمة- العدد العشرون (الجزء الأول)

تشكلات القهر الإنساني في أدب نجيب محفوظ

رواية بين القصرين .. نموذجاً

د/ نجوى معتصم أحمد(*)

ملخص البحث

مشكلة البحث: يغدو التساؤل الرئيس معنونًا: ماذا عن تشكلات القهر الإنساني كما عبّر عنه نجيب محفوظ في روايته "بين القصرين"؟

ترجع أهمية البحث، لرفادة أدب (نجيب محفوظ) الذي يحظى باهتمام عالمي قبل الاهتمام المحلي أو القومي. كما أن شخصية السيد (أحمد عبد الجواد) في رواية (بين القصرين) أصبحت مضرب الأمثال في القهر الإنساني واستبداد الذكورة.

أهداف البحث:يهدف هذا البحث إلى:

- التعرف على صور القهر كما عكستها رواية (بين القصرين).
- رصد صور القهر الإنساني الذي مارسه القاهر(الذكر) على المقهور(الأنثى) كما جاءت في رواية (بين القصرين).
- استجلاء صور القهر أثناء الفترة التي دارت فيها أحداث الرواية مادة البحث.

منهج البحث: يغلب على تلك الدراسة المنهج الوصفي في تحليل الرواية ومعالجتها.

نتائج البحث:

- استطاع نجيب محفوظ أن يعبر عن أحلام الشعب المصري وآلامه وطموحاته، فضلًا عن تعبيره بصدق عن قهر الطبقة الشعبية البسيطة، سواء تمثل في قهر الفرد للفرد أوتشكل في قهر السلطة الحاكمة للمحكوم.
- غدت شخصية (السيد أحمد عبد الجواد) في رواية (بين القصرين) تتوفر فيها كل مقومات الشخصية المستبدة القاهرة.

(*) أستاذ الأدب والنقد المساعد بكلية الآداب جامعة بني سويف

- تغدو شخصية (أمينة) زوجة (السيد أحمد عبد الجواد)، نموذجًا للمرأة التي ندرت أخطاؤها طيلة حياتها، ورغم ذلك ذاقت أشد أنواع القهر والاستبداد الذكوري.
- بدت شخصية (السيد أحمد عبد الجواد) مستغلة لسلطتها الأبوية الذكورية،يتجلى ذلك في إرهابه لأبنائه وزوجته وكل من حوله.
- أظهرت (رواية بين القصرين) صور القهر والاستبداد للاحتلال الانجليزي للمجتمع المصري في الفترة الزمنية التي دارت فيها أحداث الرواية.
- على الرغم أن السيد أحمد هو السلطة الذكورية القاهرة في هذه فإنه تعرض هو نفسه إلى القهر.
- استخدم نجيب محفوظ في سرد روايته (بين القصرين) أسلوب السرد الوصفي الآني وأسلوب الاستباق والاسترجاع .

Formations of human oppression in the literature of Naguib Mahfouz Bayn al-Qasrayn novel.. as a model

Summary

Research problem: The main question: What about the Formation of human oppression and tyranny as expressed by Naguib Mahfouz in his novel " Bayn al-Qasrayn novel"?.

The importance of the research stems from Naguib Mahfouz's literature, which enjoys global interest,Furthermore, the character of Sayyid Ahmed Abd al-Gawad in his novel Bayn al-Qasrayn has become a byword in human oppression and tyranny of masculinity

Research objectives:This research aims to:

- Identify the images of oppression as reflected in the novel Bayn al-Qasrayn.
- Monitoring the images of human oppression practiced by the oppressor (male) over the oppressed (female), as present in the novel Bayn al-Qasrayn.
- Exploring images of oppression during the period in which the the novel's events take place is the research .

Research methodolgy: this study utilizes a descriptive approach to analyzing and addressing the novel.

Research results:

-Naguib Mahfouz was able to express the dreams, pains and aspirations of the Egyptian people, as well as his honest portrayal of the oppression of the lower class,whether represented by the, oppression of the individual or by the oppression of the ruling authority by the ruled.

- The character of Amina, the wife of Sayyid Ahmed Abd al-Gawad,becomes a model for a woman who rarely made mistakes throughout her life,yet neverheless experienced the most severe forms of male oppression and tyranny.

- The character of Sayyid Ahmed Abd al-Gawad appears to exploit her paternal authority, as evidenced by his wife,and everyone around him.

the novel " Bayn al-Qasrayn depicts the oppression and tyranny of the British occupation of Egyptian society during the period in which the novel's events take place.

Although Sayyid Ahmed Abd al-Gawad is the oppressive male authority in this novel,he himself is subjected to oppression.

Naguib Mahfouz uses the narrative style of instantaneous descriptive narrative,anticipation,and flashback in his novel.

مقدمة:

إيماناً من الباحثة بمقولة:إن الأدب هو سجل مشاعر الأمة وآرائها، يستطيع أن ينقل صورة صادقة عن البشر الذين يعيشون فى مجتمع ما، ذلك أن "الأدب هو انعكاس للبنية الإجتماعية، كما أن النص الأدبى هو دلالة على ما حوله من أشياء أخرى طبيعية أو إجتماعية أو فكرية"[١]؛ انطلقت الباحثة تقرأ وتحلل عدداً من النصوص الأدبية الروائية المتنوعة، وخاصة (أدب نجيب محفوظ)، الذي استهواها كثيراً للبحث الأدبي والفحص والتحليل النقدي، ومن بين عشرات الأعمال الروائية لنجيب محفوظ، استهوت ثلاثيته الشهيرة – بين القصرين ، قصر الشوق ، السكرية- الباحثة ؛لهذا راحت تعلق عليها محللة ودارسة ومعالجة، ووجدت أن في هذه الثلاثية ظاهرة لم يتطرق إليها باحث آخر بشكل مستفيض، وهي ظاهرة القهر الإنساني الذكوري الواضحة فيها وضوحاً جلياً، وخاصة في روايته الأولى من هذه الثلاثية، وهي رواية "بين القصرين"؛ لذا قررت الباحثة أن تسبر غور هذه الرواية، لتحلل إطارها الشكلي والمضموني، وتستنبط من بين سطورها تشكلات هذه الظاهرة الجلية بشكل جلي.

[١] – أمينة رشيد: الأدب المقارن والدراسات المعاصرة لنظرية الأدب، ، الهيئة العامة للكتاب،القاهرة، ٢٠١١، ص ٢٩.

مشكلة البحث:

إن " الأدب كائن حي يتأثر بعدد كبير من العوامل، إن لم تكن البيئة المادية أهمها، إلا أنها ليست كل شيء، فهناك العناصر الفكرية والعادات والقانون والدين وميراث الماضي"[٢]، وحينما قرأت الباحثة أدب(نجيب محفوظ) وخاصة ثلاثيته الشهيرة، لاحظت أنه يعبر فيها عن فترة زمنية من تاريخ مصر غاية في الخصوية، كما لاحظت في هذه الثلاثية ظاهرة واضحة جديرة بالبحث والدراسة، وهى ظاهرة القهر والاستبداد لكل شخوص الرواية تقريباً؛ لذلك ارتأت الباحثة أن تحلل هذه الظاهرة في ثلاثية نجيب محفوظ الشهيرة، مستندة على رواية (بين القصرين) نموذجاً لهذا البحث. وعليه فإن مشكلة هذا البحث تتبلور في التساؤل الرئيس الآتي: ماذا عن تشكلات القهر والاستبداد الإنساني كما عبر عنه نجيب محفوظ في روايته "بين القصرين".

تساؤلات البحث:

١- ما مظاهر الشخصية القاهرة في رواية بين القصرين؟.

٢- ما مظاهر الشخصية المقهورة في رواية بين القصرين ومكوناتها؟

٣- هل كانت شخصية (السيد أحمد عبد الجواد) شخصية مستبدة وقاهرة؟

٤- ماذا عن القهر والاستبداد الإنساني في رواية بين القصرين؟.

٥- هل أسهمت طبيعة شخصية "أمينة" السيد أحمد عبد الجواد في قهرها؟

٦- هل مارس الإنجليز بوصفهم ـــ قوة مستعمرة ـــ طبيعة القهر على الشعب المصري؟.

٧- هل تعرض السيد أحمد عبد الجواد نفسه للقهر؟.

٨- ما مدى القهر الإنساني ـــ على الإطلاق ـــ الذي مارسه القاهر على المقهور كما جاء في رواية "بين القصرين"؟.

٩- هل نجح نجيب محفوظ في بناء الشخصية القاهرة وشخصية المقهور بناءً دراميًا محكماً؟.

أهمية البحث:

أولًا : يعد أدب نجيب محفوظ أدبًا عالميًا يحظى باهتمام العالم جلّه، وراح عدد ليس بالقليل منه يدرسه ويحلله وينقده.

---

٢ – أحمد رشدي صالح: فنون الأدب الشعبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،١٩٩٩م، ص١٧.

ثانيًا : تُعد ثلاثية نجيب من أبرز إبداعات (نجيب محفوظ)، ورواية (بين القصرين) هي الجزء الأول من تلك الثلاثية الراكزة.

ثالثًا : حظيت – ولا تزال تحظى – رواية (بين القصرين) باهتمام كبير من قِبل القراء والمتلقين.

رابعًا : أضحت شخصية (السيد أحمد عبد الجواد (سي السيد) في رواية بين القصرين مضرب الأمثال في القهر والاستبداد الإنساني.

خامسًا: غدت شخصية أمينة في رواية بين القصرين مضرب الأمثال للشخصية المقهورة في المجتمع العربي والمصري منه بوجه خاص .

سادسًا: تسليط الضوء علي الحقبة الزمنية التي تناولتها تلك الرواية لما؛ لأهميتها الاجتماعية والسياسية معًا على حدٍّ سواء.

أهداف البحث: يهدف ذلك البحث إلى:

أولًا : التعرف على صور القهر كما عكستها رواية (بين القصرين)، وأبرزت أبعادها النفسية والاجتماعية.

ثانيًا : رصد مقومات الشخصية القاهرة ومظاهر الشخصية المقهورة ولوازمها ،كما جاءت في رواية بين القصرين.

ثالثًا: رصد القهر الإنساني الذي مارسه القاهر على المقهور، كما سطرتها رواية بين القصرين.

رابعًا: رصد صور القهر الذي لوحظ في المجتمع المصري في أثناء الفترة التي دارت فيها أحداث الرواية مادة البحث.

منهج البحث: اعتمدت الباحثة على المنهج الوصفي في هذا البحث؛ لأنه منهج دال ،يتحرى الظاهرة الأدبية ويصفها وصفًا دقيقًا في ظاهرها وباطنها معًا.

مادة البحث وسبب اختيارها: اختارت الباحثة "رواية بين القصرين" من بين أدب (نجيب محفوظ) بل رواياته الكثيرة المتنوعة؛ لأن صور القهر واضحة فيها وضوحًا شديدًا، ويسهل رصدها واقتناصها.

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد– مجلة علمية محكمة– ديسمبر ٢٠٢٤م

مصطلحات البحث:

القهر: مفهوم القهر في التعريف القاموسي يعني: الغلبة والأخذ من فوق، وبدون رضى الشخص الآخر، وبالتالي فالإنسان المقهور هو ذاك المغلوب على أمره، الذي تعرض لفرض السطوة عليه من قبل المتسلط عنوة[٣]. كما يعرف القهر بأنه "الاستخدام الظالم للسلطة والقوة، وخضوع الفرد لهذا الظلم وهذا الاستبداد"؛ ولذلك نجد أن للقهر جانبين: الأول يقف فيه القاهر القوي المسيطر، والآخر يكون فيه المقهور الضعيف المغلوب علي أمره، وقد يمارس القهر بواسطة فرد أو مجموعة أفراد أو طبقة أو مؤسسة[٤].

نجيب محفوظ: لقى نجيب محفوظ اهتماماً عالمياً منذ زمن طويل، تمثل في طبع مجمل أعماله ونشرها عبر كثير من اللغات، ولقد توج هذا الاهتمام بنيل الأديب الكبير جائزة (نوبل) في الآداب عام (١٩٨٨) م، ليصبح بذلك أول أديب عربي يحتل هذه المكانة الأدبية السامقة عالمياً. وقد "ولد نجيب محفوظ في ١١ ديسمبر (١٩١١) م، في ٨ شارع القاضي بحي الجمالية بالقاهرة عام (١٩١٢) م، وتدرج في مداراسها؛ ليلتحق بكلية الآداب سنة(١٩٣٠) م، وعمل فور تخرجه من قسم الفلسفة عام (١٩٣٤) م في مجموعة مناصب حكومية، انتهت بعمله مديراً للرقابة على المصنفات الفنية، ثم مديراً لمؤسسة دعم السينما فرئيساً لمجلس إدارتها حتى عام (١٩٧٢) م، وهو عام إحالته إلى المعاش لبلوغه سن الستين. "وخلال الفترة التي امتدت منذ تخرجه وحتى اعتكافه إثر محاولة الاعتداء عليه في عام ١٩٩٦م، مارس نجيب محفوظ صناعة الأدب خلال إنتاجه الروائي المتنوع والذاخر"[٥]. ونجيب محفوظ هو أشهر الروائيين العرب على الإطلاق. وقد أصبحت عناوين أعماله وأبطاله لا تقل شهرة عنه.

يعد عنوان رواية (بين القصرين) مرتكزاً دلالياً محورياً، يكشف عن البنية العميقة للنص،ويفتح أفق القراءة والتأويل ،وقد سميت رواية بين القصرين بهذا الاسم نسبة إلى شارع(بين القصرين) الذي كان يطل عليه بيت أسرة (السيد أحمد عبد الجواد) حيث تدور حوله أحداث هذه الرواية،

---

[٣]– انظر مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٦٠.

[4] انظر -8-Kim-UWG-LHL: The vocabulary of oppression in the old tertament :SOYNH, LH, and congeners. DREW University – 1981, pages; 6 - 8.

[٥] – عبد التواب حماد: السينما في أدب نجيب محفوظ، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص١٣.

مادة ذلك البحث. وبين القصرين هو ذاته مكان، وكذلك عنوان رواية "قصر الشوق" هو مكان، وأيضاً رواية "السكرية" هو عينة مكان ؛ كافة عناوين روايات الثلاثية هي عناوين لأمكنة حقيقية واقعية ، " فالمكان في أدب نجيب محفوظ ليس مساحة جغرافية تجري داخلها الأحداث، "وإنما هو حاضر في علاقة عضوية ذات بعد جدلي مع الشخصيات والوقائع وزمانهما داخل البناء الروائي، ينغلق على شخصياته؛ فيصنعون داخله عالمهم الخاص، ويحددون وجودهم في سلم القيم داخل هذا العالم، دون أية مقارنة مع عالم أكبر لا يعرفون عنه شيئًا"[٦]؛ ففي رواية بين القصرين نجد أمينة وابنتيها يعشن في عالم منغلق عن المجتمع الخارجي، فيصنعن عالمهم الخاص دون أي مقارنة بعالم آخر؛ لأنهن لا يعرفن سوى عالمهن اللائي يعيشن فيه.

الفكرة الأساسية لرواية "بين القصرين":

إن أبرز شيئين في النقد الأدبي لأى عمل فنى هما: الموضوع الذى أراد الكاتب أن يطرحه من خلال عمله الفني، وكيفية إيراد هذا الموضوع، ورواية "بين القصرين" هي الجزء الأول المستهل لثلاثية (نجيب محفوظ) الشهيرة، "الذي أنهى كتابتها عام (١٩٥٢) م، وظل صامتًا بعدها حتى عام (١٩٥٧)م ،حينما بدأ العمل في أولاد حارتنا"[٧]. أما الجزء الثاني فهو رواية "قصر الشوق"، والجزء الثالث فهو رواية "السكرية"، والثلاثية تحكي قصة رب الأسرة المهيب – (السيد أحمد عبد الجواد)– وأسرته على امتداد ثلاثة أجيال. "وإلى جانب ما فيها من تفاصيل اجتماعية وسياسية وتاريخية بالغة الكثرة؛ فهي كذلك دراسة للعلاقات الحميمة (الشخصية) بين الرجال والنساء، وسرد للبحث عن الإيمان من جانب كمال، أصغر أبناء عبد الجواد، بعد اعتناقه الإسلام مبكراً وبصورة مقتضبة"[٨] تحكي قصة أب متشدد مع أفراد أسرته؛ ويعاملهم بشدة وحزم كبيرين، وبخاصة مع زوجته (أمينة) ومع ابنتيه (عائشة وفاطمة)، لدرجة أنه حجبهن عن المجتمع نهائياً، حتى إنه منعهن من فتح نوافذ بيته، حتى لا يراهن أحد من البشر. كما أنه يمنع كل ملذات الدنيا عن أبنائه، في الوقت الذي

---

[٦] – حسن عطية: سينما أمريكا اللاتينية .. نجيب محفوظ بعيون مكسيكية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٠م، ص٢٠٧.

[٧] – إبراهيم فتحي: نجيب بين القصة القصيرة والرواية الملحمية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠١٣م، ص٢٦١.

[٨] – محمد عناني وماهر شفيق: نجيب محفوظ في عيون العالم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص١٠.

يتعامل فيه مع باقي أفراد المجتمع بمنتهى الحب والود والطيبة، ويبيح لنفسه ارتكاب المنكر والفحشاء خفية وتعسُّسًا.

إن الرواية الواقعية ـــ على الرغم من تعدد مصطلح الواقعية وتنوعه ـــ هي الرواية التي تستطيع الكشف عن العوامل الفاعلة في واقع اجتماعي معين، والتي تدرك أن الموقف الواقعي المتوازن هو الموقف الذي تقوم فيه علاقة جدلية مستمرة بين الواقع والبشر الذين يعيشون فيه، وأن مشكلة فرد ما لا يمكن أن تحل وحدها، "فكل مشكلة مهما بدت فردية هي في الحقيقة مشكلة اجتماعية، لا تخص صاحبها وحده، وأن هذا التفاعل المستمر بين الفرد والمجتمع يعني حركة تغيير مستمرة في الطرفين قائمة باستمرار ولا تتوقف قط"[٩]. وعلى ضوء هذا التصور لمصطلح الواقعية ترى الباحثة أن رواية بين القصرين تنتمي إلى المدرسة الواقعية؛ حيث أورد (نجيب محفوظ) في قالب أدبي رافد، ينتمي إلى المدرسة الواقعية الأدبية. والواقعية في أيسر مقوماتها، هي الملاذ الآمن الذي تبنى قضية الدفاع عن الطبقة الطبقة الكادحة "حيث تسلط الضوء على الفرد الذي يقف إزاء عيوب مجتمعه؛ لذلك فالواقعية الناقدة تدور حول محور رئيسي وهو الفردية التي ترى عيوب مجتمعها، ولكنها لا تقدر على تغييرها لأنها لا تلتحم بالقوة القادرة علي تغييره وهكذا ينتهي تمردها، إما بالقياس وإما بالخضوع[١٠].

وعلى هذا فيعد العمل الأدبي الواقعي ـــ بناء على ذلك المفهوم ـــ عملًا لازمًا لتصوير الواقع ومحاكاته، وتشكيل صوره ومفرداته الذاتية والاجتماعية والتاريخية والسياسية.

تشكلات القهر الإنساني والاستبداد في رواية بين القصرين:

إن الأدب تاريخ من لا تاريخ له، والأدباء يعبرون عن واقع مجتمعاتهم أصدق تعبير، ومن بين هذا الواقع هو صور القهر الذي يقع على الإنسان البسيط المغلوب على أمره. "والرواية العربية بتصديها لظاهرة القهر تستعيد استلاب الإنسان العربي، وتدفعه لاسترداد وعيه، وتثبت بذلك أنها سجل واسع للأصداء الاجتماعية والسياسية"[١١]. ومن هؤلاء الأدباء الذين عبروا عن

[٩] – عبد المحسن طه بدر: الرؤية والأداة .. نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٤م، القاهرة، ص٢١٣.

[١٠] – محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، ، مكتبة نهضة مصر، القاهرة ٢٠٠١م، ص٣٢٧.

[١١] – عبد الرحمن أبو عوف: القمع في الخطاب الروائي العربي، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، القاهرة، ١٩٩٩م، ص: ج.

صور قهر الإنسان في أدبهم يتصدر اسم الأديب العالمي(نجيب محفوظ)، الذي عبَّر عن القهر والاستبداد في أغلب أعماله الأدبية بطرائق مختلفة متنوعة؛ حيث إنه كان ضد القهر والاستبداد دائماً، وهو الأمر الذي اكتسبه من مقاومة الاحتلال الانجليزي، حيث عاصر محفوظ ثورة (١٩١٩) م، في مرحلة طفولته، وهذه المرحلة هي حجر الأساس في تكوين الفكر الإنساني. ورفض (نجيب محفوظ) للقهر الإنساني جعله يعبر بصدق عن الصراع الكبير بين الثورة والاستبداد في ثلاثيته الشهيرة، كما مكنه هذا الرفض بأن يمتلك رؤية أوسع عبرت عن القهر والاستبداد الإنساني، من خلال بيئات في غاية العفوية والبساطة، ومثال ذلك رواية الثلاثية – بين القصرين، السكرية، قصر الشوق- التي تناول فيها القهر والاستبداد الإنسانيين عبر حقبة كبيرة من حقب مصرالتاريخية؛ حيث استطاع (محفوظ) أن يعبر عن أحلام الشعب المصري وطموحاته وآلامه، فضلًا عن تعبيره بصدق عن قهر الطبقة الشعبية البسيطة من هذا الشعب، سواء من قهر الفرد للفرد، أو من قهر السلطة الحاكمة للمحكوم، ولا شك أن وجود هذه المعطيات السياسية والاجتماعية والثقافية قد جعل من ثلاثية(نجيب محفوظ) العمل الأدبي الأكثر قرباً للوجدان المصري والشعبي منه بوجه خاص.

وكما تحرّت الباحثة، فإن عمل الثلاثية، ومن أبرزها "رواية بين القصرين" مادة هذا البحث، تنتمي إلى الأدب الواقعي، والواقعية والمجتمع ـــ بالضرورة ـــــ متلازمان أو بالأحرى وجهان لعملة واحدة؛ لذلك اتجهت الواقعية وجهتين تحت تأثير فلسفتين حديثتين، كلتاهما تلزم الكاتب بمشاركة مشكلات المجتمع الحاضرة،والتعبير عنها وكلتاهما تهتم بالمضمون وأثره الاجتماعي، وتجعلان المتعة الفنية في الأدب وسيلة لغايه إنسانية في تحرير الإنسان وفق المفاهيم الفكرية لكل من المذهبين[١٢].

أولًا:استبداد السيد أحمد عبد الجواد لزوجته الأولي وقهرها:

من خلال المعلومات التي سطرها (نجيب محفوظ) في روايته(بين القصرين) عن مقومات شخصية (السيد أحمد)، استنتجت الباحثة أن شخصية (السيد أحمد عبد الجواد) تتوفر فيها كل مقومات شخصية الزوج المستبدة القاهرة المتسلطة؛ فهو يتمتع بالثراء الشديد، والقوة البدنية الكبيرة،

[١٢] – انظر فوزي الطاهر: نحو منهج جماهيري في النقد الأدبي، المنشأة العامه للنشر والتوزيع والاعلان، طرابلس، ليبيا ١٩٨٣م، ص١٨٨.

والصحة والوجه الجميل، والثقافة الواسعة والذكاء العالي والصرامة الشديدة والتجهم طوال الوقت مع جميع أفراد أسرته، والتعامل بقسوة وبشدة معهم، وعقاب من يعصي أوامره منهم بقسوة شديدة، كما تربى على النشأة الاجتماعية التي تكرس السلطة الذكورية إيذاء المرأة. كل هذه السمات – وغيرها التي استنتجتها الباحثة عبر ثنايا السرد لرواية "بين القصرين" – وضعها (نجيب محفوظ) في شخصية (السيد أحمد عبد الجواد)؛ حتى يبرر استبداده وقهره لزوجته أمينه وأبنائه، كما وضعها حتى تأتي أحداث روايته بشكل مترابط ومقنع للقاريء.

وقد حاول (السيد أحمد عبد الجواد) أن يقهر زوجته الأولى (أم ياسين)؛ حيث منعها من الخروج عن بيته نهائيًا، وأجبرها أن تلزم بيتها ولا تبرحه، إلا لزيارة والدها شريطة أن يكون هو بصحبتها، وحتى هذه حاول منعها من تكرارها بصفة دورية، وعندما حاولت التمرد على قراراته هذه غضب عليها غضباً شديداً، وحاول منعها بالزجر أولًا، ثم بالضرب المبرح ثانيًا؛ فتمردت عليه وذهبت إلى والديها!؛ فأعمى الغضب (السيد أحمد)، وظن أن خير وسيلة لتأديبها وقهرها هو أن يطلقها إلى حين؛ فطلقها، وتظاهر بإهمالها لعدة أسابيع،وهو يعتقد أنها ستندم، وستعود مقهورة ذليلة ترجوه أن يعيدها إلى عصمته مرة أخرى، ولكن هذا لم يحدث؛ فبعث هو من يجس النبض، تمهيداً للصلح؛ ولأن ثقافة زوجته وبيئتها الاجتماعية التي نشأت فيها تختلف عن ثقافة البيئة الذكورية القاسية التي تربى وترعرع فيها (السيد أحمد عبد الجواد)؛ فإن التآلف بينهما كان صعباً.

وعاد الرسول الذي أرسله (السيد أحمد عبد الجواد) يقول: "إنهم يرحبون به على شرط ألا يسجنها أو يضربها!؛ ولأن مؤلف الرواية أراد أن يخلق صراعاً قوياً، ويستمر هذا الصراع مستمراً وممتداً؛ فقد رسم(نجيب محفوظ) بطل روايته شخصية عنيدة لا تقنع بأنصاف الحلول، فكان من الطبيعي أن يثور ثورة عاتية لرد أسرة زوجته الأولى على طلبه هذا؛ لأنه كان ينتظر موافقة بلا قيد أو شرط "وأقسم فيما بينه وبين نفسه ألا يضمهما رباط إلى الأبد"[١٣].

وترى الباحثة أن (السيد أحمد عبد الجواد) قهر زوجته الأولى (أم ياسين) مرتين وقهر (ياسين) ابنها مرتين أيضاً؛ فقد قهر زوجته في المرة الأولى عندما منعها من تاخذ قسطًا يسيراً من حريتها؛ حيث منعها من زيارة والديها، وقهرها في المرة الثانية عندما طلقها وهي حامل في ابنه(ياسين)،

[١٣]– نجيب محفوظ: بين القصرين، دار الشروق، القاهرة، ط١٥، ٢٠١٩م، ص١٢٦

وجعلها مطمعًا للرجال بعد أن صارت مطلقة ومعها طفل؛ فساءت حالتها النفسية ،وتخبطت في حياتها؛ وانحرفت عن المسار الصحيح الذي كانت ستسلكه لو عاملها (السيد أحمد عبد الجواد) بالحسنى ولم يعتدل في تصرفه معها، ويحاول قهرها وخضوعها التام لسيطرته وذله. أما قهره الأول لابنه(ياسين)؛ فقد تركه وحيداً يُولد بعيداً عنه، وأن يلقى من حياته في بيت أمه ما لقى من ضروب المذلة والقهر. أما قهره للمرة الثانية له فكان عندما انتقل؛ ليعيش معه ،وهو في التاسعة من عمره؛ حيث لاقى من القهر الكثير. وهذا ما ستتناوله الباحثة في حينه.

ثانيًا: استبداد (السيد أحمد عبد الجواد) وقهره لزوجته الثانية (أمينة):

إن الشخصية هي وحدة الحياة النفسية والواقعية، ومن المعروف أن الأفراد يختلفون فيما بينهم من حيث تكوين كل منهم،وفي هذه الرواية تظهر شخصية متفردة تمام التفرد عن باقي البشر من النساء، وهي شخصية "أمينة" زوجة (السيد أحمد عبد الجواد)، وهي امرأة في الأربعين من عمرها، تزوجت (السيد أحمد عبد الجواد) وهي دون الرابعة عشرة، ذات شعر كستنائي، وعينين صغيرتين عسليتين جميلتين، وأنف صغير دقيق يتسع قليلًا عند فتحتيه، وفم رقيق الشفتين ينحدر تحتهما ذقن مدبب، وبشرة قمحية صافية تلوح عند موضع الوجنة منها شامة سوادها عميق نقي متوسطة القامة، "تبدو كالنحيفة ولكن جسمها بض ممتلىء في حدوده الضيقة لطيف التنسيق والتبويب"[١٤]. ولعل زواج (أمينة) من (السيد أحمد عبد الجواد) وهي في سن صغيرة من العوامل التي ساعدت في تحكمه في شخصية أمينة وقهرها؛ حيث كان لديه الوقت لتشكيل ثقافتها وفكرها ووعيها كما يريد هو، خاصة أنه كان له تجربة زواج من امرأة قبلها، وقد عانى من سلوك زوجته الأولى معه، لذلك كان حريصاً على ألا يُعطي زوجته الثانية أية فرصة للتفكير في رجل غيره.

كما كان لتربية (أمينة) في بيت يقدس الحياة الزوجية دورٌ مهمٌّ في رضوخ (أمينة) لزوجها وطاعته العمياء له؛ فقد علمتها والدتها أن تقدس زوجها وحيتها الزوجية، وأن تطيعه طاعة عمياء؛ حيث كانت تحضها دائماً على طاعة زوجها، وضرورة أن تتغاضى عن الصغائر التي لا تعجبها فيه، فعلى سبيل المثال، عندما قيل لها ذات مرة إن رجلًا كالسيد أحمد عبد الجواد في يسره وقوة بنيانه وجماله، بالإضافة إلى سهره المتواصل، لا يمكن أن تخلو حياته من نساء، تملكتها الغيرة

[١٤] – المصدر نفسه، ص٦.

وحزنت حزناً شديداً، ولم تنم ليلتها، وأسرعت إلى أمها لتحكي لها ما سمعته عن زوجها، فهدأتها الأم بحلو الكلام، ثم قالت لها: "لقد تزوجك بعد أن طلق زوجته الأولى، وكان بوسعه أن يستردها لو شاء، أو أن يتزوج ثانية وثالثة ورابعة، وقد كان أبوه مزواجاً، فاحمدي ربنا على أنه أبقاك زوجة وحيدة"(١٥).

وتستخلص الباحثة من حوار أمينة مع أمها أن الأخيرة كانت تمارس القهر على ابنتها قبل أن يمارسه عليها زوجها؛ فأم أمينة أقنعت أمينة أن قهرها في بيت زوجها هو شيء عادي جداً، بل عليها أن تحمد ربها أن زوجها لم يقهرها أكثر من ذلك؛ لأنه كان بإمكانه أن يتزوج عليها امرأة ثانية وثالثة ورابعة، ولكنه اكتفى بها، وهذه نعمة،ويجب عليها أن تشكر ربها عليها. إن هذه التربية جعلت السيدة (أمينة) تقدس زوجها لدرجة أنها لم تكن ترى لنفسها الحق في أن تجلس إلى جانبه تأدباً؛ حيث كانت تُفضل أن تجلس تحت قدميه احتراماً وتقديساً له، كما كانت لا تبدأ هي الكلام معه، بل "تنتظر حتى يدعوها للكلام فتتكلم"(١٦).

كما كان لالتزام (أمينة) وعلاقتها القوية بربها وإيمانها بالقضاء والقدر دورٌ أيضاً في طاعة زوجها وتقبل أي فعل يصدر منه، حتى لو كان فعلًا قبيحاً، وهذا واضح عبر الرواية في أكثر من موضع؛ حيث يقول الراوي عنها: "ولكي يطمئن قلبها اعتادت أن تطوف بالحجرات مصطحبة خادمتها مادة يدها بالمصباح أمامها فتلقى في أركانها نظرات متفحصة خائفة ثم تغلقها بإحكام، واحدة بعد أخرى، تبتدؤه بالطابق الأول مثنية بالطابق الأعلى، وهي تتلو ما تحفظ من سور القرآن دفعاً للشياطين، ثم تنتهي إلى حجرتها فتغلق بابها وتندس في الفراش ولسانها لا يمسك عن التلاوة حتى يغلبها النوم"(١٧).

والسيدة (أمينة) ربتها أسرتها تربية تتسم بالخضوع والقناعة والتودد والسكينة، ولعل إجبارها على الزواج في سن الطفولة هو أشد أنواع القهر، مما ساعد زوجها في السيطرة عليها وقهرها أكثر وأكثر؛ حيث استكمل تربيتها سائراً على هذا النهج ذاته، بل كان أكثر تشدداً في تربيتها من

---

١٥ – المصدرالسابق، ص١١.

١٦ – المصدر نفسه، ص١٤.

١٧– المصدر السابق، ص٨.

أسرتها؛ حيث مكنه زواجه منها وهي لاتزال في سن الطفولة في أن يشكل سلوكها،بل حياتها كلها، حسب هواه ومزاجه؛ حتي صار بالنسبة لها السيد وهي الخادمة له، أو إنسان يؤلَّه ،ويجب تقديسه،بل وطاعته في كل ما يأمر به، وصارت لا تناديه إلا بكلمة "سيدي"، بل لا تجرؤ أن تتحدث معه إلا بصوت خفيض، تقديراً وتهيّباً له. كأنه النموذج الأوحد ،وهي تابعته المقهورة، وهذا واضح في وصف الراوي لها عندما تتحدث إلى زوجها:

فقالت بصوت خفيض ينم عن الأدب والخضوع:

- "مساء الخير يا سيدي".(١٨)

وقد ساعد حب (أمينة) لزوجها على تلك الهيبة، حيث كان حُبها ــ رغم قسوته عليها وعلى أبنائه ـــ في إرساء سلطة واستبداد شخصية (السيد أحمد عبد الجواد)؛ وقد علت حبها له، لدرجة أنها كانت تتباهي بما يصدر عنه، سواء ما يسرها، أو يحزنها. كما لعب جهل (أمينة) وعدم تعلمها دوراً كبيراً في خضوعها التام لأوامر زوجها وسيطرته عليها؛ لأن "عدم التعلم هو بنية تتصف بالقمع والقهر، وبالتسلط والرضوخ، وبحرمان الإنسان من إنسانيته؛ فهو يعيش في حالة من الشلل التام الذي يصيب الإنسان في كل موضع منه ويفصله حتى عن قضاياه المصيرية، مما يجعله ينغلق على نفسه، حتى يلفظ أنفاسه الأخيرة، لأنه يعاني من التفكير وحيد الجانب نتيجة لعدم تعلمه"(١٩). ومما زاد من جهل (أمينة) هو قلة وعيها بالمجتمع المحيط بها، بسبب قهر زوجها لها، وإجباره لها بعدم الخروج من منزلها، إلا لزيارة والدتها على فترات متباعدة، شريطة أن يكون هو بصحبتها؛ ومن ثم كانت لا تعلم عن العالم الخارجي شيئًا سوى بعض المعلومات الطفيفة التي يحكيها لها زوجها، كلما أراد هو ذلك، والمرة الوحيدة التي تجرأت فيها وخرجت من بيتها كانت تحت ضغط وإلحاح من أبنائها الذين خافوا عليها من أن يصيبها مرض عدم القدرة على الحركة بسبب مكوثها الدائم في بيتها وكأنها تعيش في سجن قاتم قابع، من أربعة جدران وليس به باب؛ حيث قال لها ابنها فهمي:

١٨- المصدر نفسه، ص١٣.

١٩- عبد الباسط عبد المعطي: الطبقة الوسطي المصرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ،٢٠٠٦م، ص١٥٥.

- "ألقي نظرة على الدنيا، لا عليك من هذا فإني أخاف أن تنسي المشي من طول لزومك للبيت!..[٢٠]

وعندما خرجت "وجدت سروراً ساذجًا لمشاركة الأحياء في الحركة والانطلاق، سرور من قضت ربع قرن سجينة الجدران ما عدا زيارات معدودات لأمها في الخرنفش – بضع مرات في العام – تقوم بها داخل حنطور بصحبة السيد فلا تسعفها الشجاعة حتى لاستراق النظر إلى الطريق.. وجعلت تسأل كمال عما يصادفهما في طريقهما من مشاهد وأبنية وأماكن، والغلام يحدثها في إسهاب، مزهواً بدور المرشد الذي يقوم به"[٢١]. وكانت هذه أول مرة وآخرها تخرج فيها أمينة من بيتها، ولم تكن بمفردها بل كانت بصحبة ابنها كمال، وقد نالت جزاء هذا عقاباً قاسيًا، سواء من القدر الذي لم يمنحها فرصة التمرد على قهرها، ولو مرة واحدة في حياتها؛ حيث صدمتها سيارة وأصابتها بكسر في كتفها – أو من زوجها الذي عنّفها بعد مجيئه من سفره، وعرف بخبر خروجها وما حدث منها، لم يرحمها من العقاب الشديد؛ حيث أمهلها فترة حتى التأم كتفها المكسور ثم طردها شر طردة من بيته وسط دهشة الأبناء وذهولهم، ولم يشفع لها إخلاصها له ولا طاعتها العمياء له ولا توسلها له أن يعفو عنها:

- "أخطأت يا سيدي، وعندك العفو، كانت نفسي تتوق إلى زيارة سيدنا الحسين، وحسيت إن زيارته المباركة تشفع لي في الخروج ولو مرة واحدة.

(...)

- "ليس عندي إلا كلمة واحدة! غادري بيتي بلا توان.[٢٢].

وهوت الجملة السابقة على رأس (أمينة) كالصاعقة ، فبهتت لا تنبس بكلمة واحدة، ولم تحرك ساكنًا، فطالما توقعت منه أي شيء، حتى الضرب توقعته منه، ولكن أن يطردها من بيتها التي عاشت فيه نحو خمسة وعشرين عاماً، فلم تتوقع أن ثمة سبباً يمكن أن يفرق بينهما أو ينتزعها هى من البيت الذي صارت جزءاً منه لا يتجزأ. وبهذا التصرف القاهر ازدادت الأزمة شدة بينه

[٢٠] – نجيب محفوظ: بين القصرين، ص١٩٦.

[٢١] – المصد ر نفسه، ص١٩٨.

[٢٢] – المصدرالسابق، ص٢٣٠.

وبين زوجته، ودار صراع داخل (أمينة) نفسها، فالصراع ليس قاصراً بين كائن حي وآخر، وهو مونولوج دفين تتجلّى آثاره فيما يحدثه من آثار في ذات المتلقي، إذ تخضع الزوجة لقهر زوجها ، وتخرج مطرودة من بيت الزوجية وتذهب للإقامة عند أمها وهي لا تدري أي مصير ينتظرها.

يتجلى فن (نجيب محفوظ) الروائي في وصف مشاعر هذه الزوجة الخاضعة، المستكينة، المقهورة، التي تتلذذ بخضوعها لزوجها المتسلط ، حيث تغمرها الفرحة بالعودة إليه بعد أن طردها من بيته شر طردة،فهو "الذي لم يعن بالذهاب إلى بيت أمها لمصالحتها" وكأن نجيب محفوظ يريد بهذه الجملة أن "يذكر القارئ بمدى ظلم وتكبر هذا الزوج وبمدى خضوع هذه الزوجة وطيبة قلبها حتى إنها حملت نفسها الذنب كله، واستمرت أمينة في دورها كزوجة مطيعة خاضعة وكأم رؤوم طوال الأجزاء الثلاثة"[٢٣]. باختصار تجسد شخصية أمينة العبودية المنزلية وأسر المرأة وخضوعها للسلطة الذكورية. فهي "تسعى لراحة زوجها بتفان كل ليلة حتى بعد ساعات من الوحدة والقلق والخوف"[٢٤].

إن الخوف الذي زرعه (السيد أحمد عبد الجواد) في قلب زوجته (أمينة)، ومن قبله الخوف الذي زرعته أسرتها في قلبها، ومن قبلهما عالم الجن والعفاريت الذي كانت تتخيله في سنوات زواجها الأولى بسبب صغر سنها وإقامتها بمفردها لأوقات طويلة في بيتها الكبير، بسبب غياب زوجها عنها طوال اليوم؛ حيث "لم تكن ترى في الفزع مجرد شعور عابر، كلا.. إنه شعور شاذ تكتنفه هالة غامضة تأوي إليها العفاريت كما تأوي الخفافيش إلى الظلام، فإذا أحاط بشخص مسه ضر سيء العاقبة"[٢٥]، ولكن قدرة (أمينة) على التكيف جعلتها تعايش لا السيد فحسب، بل العفاريت نفسها، "فأمينة جاءت إلى بيت السيد صبية في السادسة عشرة من عمرها، من بيت يختلط فيه الدين بالخرافة، وعاشت وماتت وهي تؤمن بأن في كل ركن من البيت عفريت"[٢٦]، هذا الخوف هو الذي جعل شخصية (أمينة) بهذا الشكل المهتز المغلوب على أمره، وفي هذا السياق يسرد

---

[٢٣] – فوزية العشماوي: المرأة في أدب نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة السرة، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص٤٤.

[٢٤] – باميلا الجريتو دييوليو: قفص الحريم، ترجمة: محمد عناني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١١م، ص١١٢.

[٢٥] – مصطفى بيومي: القرآن الكريم في أدب نجيب محفوظ، القاهرة، دار الأحمدي للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩م، ط٢، ص٣٣.

[٢٦] – يحيى محمد محمود القفاص: صورة المجتمع المصري في أدب نجيب محفوظ بين الواقع والخيال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،٢٠١٧م، ص١٢٣.

الراوي: "... ولشدة ما كانت تخاف الليل في عهدها الأول بهذا البيت، فلم يغب عنها – هي التي عرفت عن عالم الجن أضعاف ما تعرفه عن عالم الإنس إنها تعيش وحدها في البيت الكبير، وأن الشياطين لا يمكن أن تضل طويلًا عن هذه الحجرات القديمة الواسعة الخالية"[٢٧]. ولم تكن أمينة تعرف الطمأنينة إلا إذا عاد زوجها آخر الليل من سهرته، أجل كان مجرد وجوده بالبيت كفيلًا ببث السلام في نفسها وبيتها وحياتها كلها.

وقد خطر لأمينة مرة – في بداية زواجها من (السيد أحمد عبد الجواد)- أن تعلن نوعًا من الاعتراض المؤدب على سهر زوجها المتواصل، فما كان منه إلا أن أمسك بأذنيها وقال لها بصوت جهوري في لهجة حازمة: "أنا رجل، الآمر الناهي، لا أقبل على سلوكي أية ملاحظة، وما عليك إلا الطاعة، فحاذري أن تدفعيني إلى تأديبك"[٢٨]. وهكذا استطاع الزوج المستبد أن يزرع الخوف في قلب زوجته (أمينة)منذ أيام زواجهما الأولى؛ فتعلمت (أمينة) من هذا الدرس وغيره مما لحق به أن تعيش مستكينة، مقهورة، أَمَةً لزوجها، وتعلمت أن تطيع زوجها بلا قيد أو شرط، وقد أطاعت، وتفانت في الطاعة،حتى بلغت الطاعة منتهاها.

لقد وقر في نفس(أمينة) أن الرجولة الحقة والاستبداد والسهر إلى بعد منتصف الليل، وممارسة القهر على الزوجة لوازم رجولية مفروضة. وهكذا تحولت أمينة إلى إمرأة تؤمن بأن الزوج هو السيد والزوجة ما هي إلا أَمَةٌ عنده أو خادمة؛ لذلك لم تكن تناديه باسمه مجردًا، بل كانت تسبق اسمه بكلمة "سيدي"، بل غالبًا ما كانت تبدل اسمه بكلمة واحدة فقط هي: "سيدي". وهكذا آمنت (أمينة) بأن زوجها(السيد أحمد عبد الجواد) هو السلطة الذكورية القاهرة، وأنها هي الزوجة المقهورة. لقد وقر في نفسها هذا الشعور حتى تحول إلى اعتقاد،بل يقين تؤمن به، لدرجة أنها انقلبت مع الأيام تباهي بما يصدر عن زوجها، سواء ما يسرها أو يحزنها، ولم تأسف يومًا على ما ارتضت لنفسها من الخضوع والتسليم، بل كانت تدعو لزوجها بالسلامة والتوفيق في كل وقت

---

[٢٧]- نجيب محفوظ: بين القصرين،ص٨.

[٢٨] – المصدرالسابق، ص٩.

قائلة: "ترى أين يكون سيدي الآن؟.. وماذا يفعل؟.. فلتصحبه السلامة في الحل والترحال"[٢٩]. كما أنها لم تكن ترى لنفسها الحق في أن تجلس إلى جانبه تأدبًا، ولم تكن تتكلم إلا إذا دعاها هو للكلام.

وترى الباحثة أن (السيد أحمد عبد الجواد) كان يمارس التسلط الذكوري،بل القهر الرجولي بشكل متطرف إزاء زوجته (أمينة) دون أي خطأ ارتكبته ولو خطأ يسير. إن (أمينة) منذ زواجها من (السيد أحمد عبد الجواد) وحتى مرور ربع قرن من الزمان، لم تكن قد خرجت من بيتها، ولم تَرَ معالم مجتمعها المحيط ،ولو مرة واحدة؛ "ربع قرن من الزمان خلا وهي حبيسة هذا البيت لا تفارقه إلا مرات متباعدة لزيارة أمها بالخرنفش، وعند كل زيارة يصطحبها السيد في حنطور لأنه لا يحتمل أن تقع عين على حرمه سواء وحدها أو بصحبته"[٣٠].وهذا يدعونا للنظر إلى ما يصبو إليه نجيب محفوظ،حيث يبين عن واقع المجتمع المصري.والواقع الشعبي منه بشكل خاص،حيث يلبس تلك الأسرة ،أو هذه الزيجةثوب الواقعية،وما تبرزه من معطيات فنية كاشفة عن دور السلطة الذكورية إزاء المرأة المستكينة في خصوصيتها.

ثالثًا: استبداد السيد أحمد عبد الجواد وقهره لأبنائه:

إن القهر على إطلاقه هو "ظاهرة ناتجة من تصرفات الأنظمة القمعية والمؤسسات الرسمية وغير الرسمية تجاه الفرد أو المجتمع عمومًا، مستخدمة العنف بجميع أنواعه لإخضاع الغير والتغلب عليه بشتي أنواع الطرق[٣١]. ولكن يوجد قهر آخر وهو قهر الإنسان الفرد لإنسان آخر، بشرط أن يكون القاهر أقوى من المقهور؛ إذ يفرض الأقوى نفوذه على الأضعف؛ حيث "نجد في المجتمع المقهور أن الجميع يمارس القهر والظلم على من هو أدنى منه، في حركة هرمية"[٣٢]. ومن أنواع القهر ذلك النوع الإنساني الأعلى، الذي يسمى بالنظام البطريركي، وهو النظام الرمزي للأب السلطويّ الذي يبقى محتفظًا بالسلطة، ونجده متجذرًا في المجتمعات الشرقية، حيث قتل حرية الإنسان باسم الأب أو كبير العائلة، وهو نوع من إعادة إنتاج القهر، ولكن هل مارس بطل رواية (بين القصرين) القهر على أبناءه بالفعل؟. هذا ما سنعرفه من خلال رصد الباحثة للعلاقة

---

[٢٩] – المصدر نفسه ص١٠-١١.

[٣٠] – المصدر السابق ص٤٤.

[٣١]– علي صبيح التميمي: القهر ومشروعية سلطة الدولة، دار أمجد للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠١٦، ص١٦٥.

[٣٢]– المرجع نفسه، ص١٣٢.

بين (السيد أحمد عبد الجواد) – بطل رواية "بين القصرين" – وبين أبناءه الخمسة: ياسين – ابنه من زوجته الأولى – وفهمي وخديجة وعائشة وكمال – من زوجتة الأخرى والأخيرة "أمينة"–. ومنذ بداية ظهور الأبناء الخمسة في أحداث الرواية لحظت الباحثة أنه لا يوجد واخد من الأبناء الخمسة يجرؤ على التحديق في وجه أبيه، بل الأكثر من هذا "كانوا يتجنبون في محضره تبادل النظر أن يغلب أحدهم الابتسام لسبب، أو لآخر، فيعرض نفسه لزجرة مخيفة لا قبل له بها"[٣٣].

إن (السيد أحمد عبد الجواد) كان يستغل سلطتة الأبوية الذكورية، ويقسو على أبنائه لدرجة القهر والذل، فهو يعاقبهم عقاباً قاسياً لو لاحظ في هيئة أحدهم أي خلل ولو كان تافهاً يسيراً، ولم يكن يتوانى في ضرب ابنه الأصغر (كمال)" بقسوة شديدة،، إذا صدر منه أي تصرف لا يعجبه، ولم يكن يناديه باسمه، بل يناديه يا بن الكلب، كما كان لا يجرؤ أحد منهم أن يتناول طعام الفطور قبل أن يأذن له أبوه، كما لم يكن أحد من الأبناء يجترئ على الضحك أو الغناء أو المزاح أو التحدث بصوت مرتفع أو الحركة بحرية طالما أن أبيهم موجود بالبيت؛ حيث "كان يطالب أبناءه بالطاعة العمياء"[٣٤].

وقد تعرض ياسين للنسبة الأعلى من قهر أبيه لأبنائه، فقد تسبب (السيد أحمد عبد الجواد) في قهر ابنه (ياسين) عندما حرمه من أن يعيش ويترعرع مثل أقرانه، بسبب تطليقه لأمّه لسبب يسير، كان من السهل عليه التغاضي عنه، كما تسبب في قهر(ياسين) وهو يعيش قي كنفه؛ حيث زرع في قلبه الخوف من أي تصرف يتصرفه؛ فقد حرمه الخوف من أن يعيش بحريته مثل أقرانه، أو أن يعبر عن رأيه، أو حتى يتناول طعامه بحرية .. إلخ.

ومن المرات التي وصل قهر (السيد أحمد عبد الجواد) لابنه (ياسين) إلى ذروته عندما ضبطه وهو يتحرش بخادمة الأسرة (أم حنفي)؛ حيث هجم عليه وقبض على ذراعه، وشد عليها بغلظة، ثم جذبه بشدة نحو الباب؛ فاندفع بقوة تلك الجذبة العنيفة, إذ كاد يقع على وجهه، وتمالك توازنه وهو يلتفت وراءه فزعاً، وفر بنفسه وثباً وهو لا يبالي ظلمة، والسيد يقول له: "اطلع يا مجرم يابن

---

[٣٣] – نجيب محفوظ: بين القصرين، ص٢٦.

[٣٤] – المصدرنفسه، ص٢٦.

الكلب"[٣٥].وتم قهر(ياسين) أيضاً عندما قرر والده أن يزوجه، وفرضَ عليه عروسه، دون أن يستشيره في أي شيء؛ حيث فوجئ

(ياسين) به وهو يتفحصه بسخط، ثم يقول له باقتضاب وبلهجة جافة آمرة:

- قررت أن تتزوج..![٣٦].

لم ينل ياسين حريته حتى بعد زواجه، فقد استمرَّ تبعيته لأبيه بل عبوديته له ، يأتمر بأمره في كل شيء، لدرجة أنه عندما اتخذ قراراً بالخروج للتنزه مع عروسه عاقبه أبوه عقاباً شديداً أمام عروسه، بل وبخ عروسه أيضاً على هذه الفعلة وأمرها ألا تتكررها حتى لو طلب منها زوجها ذلك. وقد شعرت زوجة (ياسين) بالقهر،بل بالذل عينه من هذا التسلّط الغريب؛ حيث وجمت بوجهها، واستحوذ عليها الذهول؛ لأنها لم تتعود هذا القهر في بيت أبيها، ولم تستطع تنطق بكلمة واحدة؛ فانكتم حديثها الداخلي، وشعرت بالقهر وهو يسألها وكأنه يتمادى بتسلطه عليها ،بل قهرها وذلها:

- ألك اعتراض على قولي؟.[٣٧].

وبعد أن انتهى (السيد أحمد عبد الجواد) من قهر زوجة ابنه(ياسين) التفت إلى ابنه ووبخه توبيخاً شديداً، وهدده بطرده هو وزوجته من البيت إذا فعل شيئًا وكرره، دون إذن منه، الأمر الذي زاد من قهر (ياسين) وذله. وتجلى قهر الأب لابنه(ياسين)أيضاً عندما حاول الأخير اغتصاب نور – خادمة زوجته – وتم ضبطه متلبساً من قبل زوجته (زينب)، فصرخت كالعواء، ووصلت الفضيحة إلى أسماع (السيد أحمد عبد الجواد)؛ فصعد إلى السطح وانهال على (ياسين) سباً وتعنيفاً، وهو ينتفض غضباً وهياجاً قائلًا: "أنت تتحداني تحت سمعي وبصري! .. فلتذهب أنت وخزيك إلى جهنم.. دنست بيتي يا وغد، هيهات أن يتطهر هذا البيت ما دمت فيه.. كان لك قبل الزواج عذر واه ، فأي عذر لك الآن؟! .. لو أصاب كلامي حيواناً لأدبه ولكنه ينصب على حجر .. إن بيتاً يضمك خليق بأن تستنزل عليه اللعنات"[٣٨]. نفَّس (السيد أحمد عبد الجواد) عن غضبه المستعر

[٣٥] – نفسه، ص٣٣٠.

[٣٦] – المصدرالسابق، ص٣٣٢.

[٣٧] – المصدرنفسه، ص٣٦٨.

[٣٨] نفسه ص٤٥٤.

بكلمات كالرصاص المنصهر وياسين بين يديه ساكن صامت خافض الرأس كأنه يوشك أن يذوب في الظلام. ولم يكتف (السيد أحمد عبد الجواد) بهذا الكم من التسلط والقهر لياسين، بل زاده قهراً، عندما أجبره على تطليق زوجته إكراماً لصديقه والد الزوجة. وكاد ياسين يموت كمداً وقهراً، وأخذ يردد في منولوج داخلي، ما يدور داخل خلجات نفسه من قهر، قائلًا: "كما تشاء!.. من ذا يرد لك مشيئة؟!.. تزوجني وتطلقني .. تحييني وتميتني، لست هنا، خديجة عائشة فهمي ياسين.. الكل واحد، الكل لا شيء، أنت كل شيء"[٣٩].

وقد قهر (السيد أحمد عبد الجواد) ابنه (فهمي) عندما رفض تزويجه من الفتاة التي أحبها،ولا يزال يحبها، بل أجبره على ألا ينظر إليها ولا إلى أية فتاة أخرى، وبهذا يكون قد سلبه حريته في النظر إلى ما يشاء أن ينظر،طلباً للعفة، وحرمه من اختيار أسمى حق من حقوقه كإنسان وهو أن يختار شريكة حياته، كما اضطره خوفه من أبيه أن يعيش حياته حبيس الجدران بغرفته أغلب أوقاته ، كأنه مجرم محكوم عليه بالسجن المؤبد؛ مما سبب له حالة من القهر المستشري:

- ماذا أخرسك؟ .. خبريني هل رآها؟.
- كلا يا سيدى .. إن ابني لا يرفع عينه إلى جارة ولا إلى غيرها.
- كيف يرغب في خطبتها دون أن يراها؟.. ما كنت أحسب أن لي أبناء يسترقون النظر إلى بنات الجيران!.
- معاذ الله يا سيدى معاذ الله .. إن ابني إذا سار في الطريق لا يلتفت إلى يمنة ولا يسرة، وهو في البيت لا يكاد يغادر حجرته إلا للضرورة.[٤٠].

كما تعالى قهر (السيد أحمد عبد الجواد) لابنه (فهمي) عندما عرف الأب أن فهمي يشارك في لجان مقاومة الاحتلال الانجليزي؛ حيث ثار على فهمي ثورة عارمة، وحاول إجباره أن يقسم له على المصحف بأنه لن يشارك في مقاومة الانجليز مرة ثانية، وعندما رفض (فهمي) أن يقسم انهال عليه (السيد أحمد عبد الجواد) بوابل من كلمات السباب والتهديد والوعيد، لعل أقلها وطأة قوله له: "أتوهمت أنك رجل؟.. أتوهمت أنك تستطيع أن تفعل ما تشاء؟!.. لو اشاء أضربك حتى

[٣٩] – المصدر السابق ص٤٧٩.

[٤٠] – المصدرنفسه ،ص١٥٣.

أكسر رأسك"[٤١]. ولم يتمالك فهمي نفسه جراء ثورة أبيه عليه وإهانته الشديدة له؛ "فراح يبكي بشدة، لا خوفًا من التهديد فما كان يبالي في موقفه وتأثره بأي أذى يصيبه، ولكن تنفيسًا عن قهره وترويحًا عن الصراع الناشب في صدره، ثم جعل يعض على شفتيه ليكتم البكاء، ثم اعتراه الخجل لما ركبه من ضعف وقهر"[٤٢].

أما علاقة (السيد أحمد عبد الجواد) بابنتيه – خديجة وعائشة – فقد كانت علاقة مبنية على استبداد الأب وقهره لهما قهرًا شديدًا، إذ استغل سلطته الأبوية ، بيده القوة والنفوذ، وحرمهما من أغلب حقوقهما الإنسانية، لدرجة أنه حبسهما في بيته ولم يسمح لهما بالخروج من باب داره، مهما كانت الأسباب، كما حرمهما من حقيهما في التعليم؛ حيث أخرجهما من مدرستهما وهما لا تزالان في مرحلتهما الابتدائية، بل وحرمهما من النظر إلى الشارع، بل الأكثر من هذا حرمهما من يفتحتا نافذة البيت، كذلك وحرمهما أيضًا من ضوء النهار، وهواء الطبيعة النقي، وكأنهما سيجينتان في زنزانة تأديبة مظلمة، كما حرمهما من أن تتزينا مثل كل الفتيات في عمرهما:

- ليس في بيتنا كله نقطة بودرة أو كحل أو أحمر كأن ليس به نساء؟!.[٤٣].
- إن عين رجل لم تقع على إحدى ابنتي منذ انقاطعهما عن المدرسة في سن الطفولة.[٤٤].

كما تسبب (السيد أحمد عبد الجواد) في قهر ابنته عائشة عندما رفض تزويجها ممن أحبته، بالرغم من أنه كان عريسًا تتمناه أية فتاة، لسبب يسير وهو لا يريد أن تتزوج ابنته الصغرى قبل الكبرى؛ حيث تسبب قراره هذا في حدوث أزمة نفسية عند عائشة، وإن كانت لم تنبس بكلمة، وقسرت نفسها على الكلام قسرًا أن يشي صمتها بآلامها التي صممت على إخفائها على التظاهر بعدم الاكتراث لها، مهما سامها ذلك من عذاب وتوتر، بل أجمعت على إعلان الارتياح مجاراة لجو البيت الذي لا يعترف للعواطف بحق من حقوقها. كما قهرها مرة أخرى أثناء حفل زفافها؛ حيث رفض رفضًا باتًا أن تنطلق من البيت زغرودة أو تعلق ببابه زينة أو تشي بما يدور داخله علامة من علامات الأفراح المألوفة التي تفاخر الأسر بإعلانها في أمثال هذه المناسبات، "وتتعلل بسوانحها

[٤١] – نفسه، ص٤٩٧.

[٤٢] – المصدر السابق، ص٤٩٨.

[٤٣] – المصدر انفسه ص١٧١.

[٤٤] – نفسه، ص١٨٦.

لتفصح عن مكنون حنينها للمسرة بالغناء والرقص والزغاريد، تم كل شيء في صمت وهدوء فلم يدر به إلا الأقارب والأصدقاء، وخاصة الجيران، وأبى السيد أن يتزحزح عن تزمته أو أن يسمح لأحد من آل بيته أن يتزحزح عنه ولو ساعة واحدة"[٤٥].

أما قهر (السيد أحمدعبد الجواد) لابنه الأصغر (كمال)، فيتمثل في قسوته الشديدة عليه، وعدم معاملته المعاملة الحانية التي يعامل بها الأباء أبناءهم الصغار، فالسيد أحمد عبد الجواد لم يكن ينادي (كمال) إلا بلفظة (يا ابن الكلب)، كما كان لا يتوانى في ضربه ضرباً مبرحاً لأقل خطأ يفعله. وكان أشدّ قهراً لكمال هو طرد أبيه لأمه، الأمر الذي أشعره بالقهر والحزن الشديدين، وجعله يلوذ بضريح الحسين كي يلتمس إليه أن يعيد أبوه أمه إلى المنزل بعد أن طردها، "وقد لجأ (كمال) إلى الضريح لعدة أسباب، منها قناعته الشديدة ببركات صاحب المقام، ومنها أن أمه أمينة قد تم طردها من المنزل بسبب رغبتها في الحضور إلى المسجد للتبرك به حباً وتقديساً، بمعنى أن هذا الحب هو السبب"[٤٦]. وشخصية (كمال) في الثلاثية استمدها (محفوظ) من حياته الشخصية؛ وهذا ما أكده في حواره مع يوسف القعيد، عندما أوضح له الأخير أن شخصية (كمال عبد الجواد) تشبه شخصية محفوظ ذاته؛ فرد عليه محفوظ قائلًا: "أولًا: لم أكن أكتب قصة حياتي بدقة في الثلاثية. كان هناك الكثير من التصرف الفني. ثانياً: حياة (كمال عبد الجواد) لم تكن تؤدي إلى الإبداع الفني"[٤٧].

وترى الباحثة أن (السيد أحمد عبد الجواد) كان يتعامل مع أبنائه بشكل مغال فيه تسلط قهري، أي أنه تجاوز المدى المسموح لسلطة الأب،بمعنى أنه غالى في أمره ؛ حيث إن السيد كان يمارس قهراً على أبنائه، وليس سلطة أبوية طبيعية حانية . كما ترى الباحثة، أن (السيد أحمد عبد الجواد)، ورغم كل تلك الصور من القهر الذي مارسه على أبنائه، نجدهً قلقًا عليهم، وعلى زوجته ومحباً لهم، ويتجلى ذلك في دعائه لهم بعد أن يفرغ من صلاته. وقد يرى بعض الباحثين أن شخصية (السيد أحمد عبد الجواد) شخصية خيالية، غير موجودة في الواقع، ولكن الباحثة ترى أن شخصية

---

[٤٥]-المصدر السابق، ص٢٩٧.

[٤٦]- محمود قاسم: صورة الأديان في السينما المصرية، المركز القومي للسينما، القاهرة،١٩٩٧م ، ص٥٩.

[٤٧] - يوسف القعيد: نجيب محفوظ إن حكى ثرثرة محفوظية على النيل، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٥م، ص٢٠.

(السيد أحمد عبد الجواد) يوجد شبية لها في الواقع، وليس شرطًا أن تكون متطابقة لها منسوخة منها، وقد لمست الباحثة في شخصية (السيد أحمد عبد الجواد) بعدًا فنيًّا ودراميًّا، وهو أنه يعيش حالة من الصراع الفنّي داخل عمله بين حياته وواجبه،وفي واقعه الخارجي؛لأنه يستشعر ذلك الصراع حياتيًا ،فيعكسه هنا فنيًّا.

رابعًا: استبداد الإنجليز للمجتمع المصري وقهره:

من أنماط القهر "قهر الغرب ممثل في الاستعمار الخارجي، حيث صار الكتاب ينعون حياتهم المعاصرة ويبكون أياماً خاليات، ازدهرت فيها الحرية والعزة والإباء وعدم التبعية"[٤٨]. وفي رواية بين القصرين تتجلي صور القهر الأجنبية أو الوافدة للشخصية المصرية في وقوعهم تحت سيطرة سلطة الاحتلال الأجنبي، أثناء الفترة الزمنية التي تتناولها الرواية. فقد أدي استبداد السلطة الحاكمة إلي انتشار الكثير من المظاهر السلبية والتي أدت إلي خضوع الإنسان المصري الذي وصل إلي حد القهر والاستبداد من الحكام؛ وتمازجت سمات المرح والصبر والفكاهة والفهلوة واللامبالاة المنوطة بدعم احتمال الطبقة الفقيرة المطحونة لجميع أنواع القهر والظلم والاستبداد الذي وقع عليهم من الإنجليز والسلطة الحاكمة قبل الثورة[٤٩]. ويظهر أول ملامح قهر الاستعمار للمصريين في رواية (بين القصرين) عندما ذهب (الشيخ متولي) إلى (السيد أحمد عبد الجواد) في محل عمله، وحكى له عن اعتراض جنديين استراليين له في الطريق، وطالباه بأن يدفع لهما ما معه من نقود حتى يسمحا له بالعبور؛ فما كان منه إلا أن نفض لهما جيوبه وأخرج الشيء الوحيد الذي كان معه، وهو كوز ذرة؛ فتناوله أحدهما وركله كالكرة، وخطف الآخر عمامته وحلَّ الشال الذي كان يرتديه على رأسه ،ومزقه، ورمى به وجهه، فما كان من (السيد أحمد عبد الجواد) إلا أن غالب ابتسامة راودته بإظهار استياء مبالغ فيه وصاح في استنكار:

- "قاتلهم الله وأهلكهم..

(فأتم الرجل حديثه قائلًا)

---

[٤٨] – محمد عبد الرحمن مصطفى: الرمزية في الرواية المصرية بعد نجيب محفوظ، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠١٧م، ص٤٥.

[٤٩]–انظر نهلة إبراهيم محمد :ملامح الشخصية المصرية بين الاستمرارية والتغيير، ج.م.ع. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الاسكندرية، ١٩٩٦م، ص١٧١.

- رفعت يدي إلى السماء وصحت: يا جبار مزق أمتهم، كما مزقوا شال عمامتي..
- دعوة مستجابة إن شاء الله." [٥٠].

وهكذا كان المصريون يواجهون قهر الاحتلال الانجليزي بالصبر والفكاهة واللامبالاة أحياناً، والمقاومة أحياناً أخرى؛ ولكن لا شك أن الاحتلال الانجليزي لمصر أدى إلى زيادة خضوع الإنسان المصري وقهره. وفي موضع آخر من رواية(بين القصرين) ضرب (نجيب محفوظ) مثالًا آخر لقهر الإنجليز للإنسان المصري، عندما تناول مظاهر قهر الاستعمار الإنجليزي للمصريين، كما تناول قهر الإنجليز (لسعد زغلول) عندما نفوه إلى جزيرة (مالطة) عقاباً له ،بسبب معارضته الاحتلال الإنجليزي:

- "يعتقلون الباشوات الكبار! .. ياله من حدث مخيف، ترى ما عسى أن يصنعوا بهم؟.
- الله وحده يعلم، البلد يختنق في ظل الحكم العرفي.
- (...).
- أما سمعتم بآخر الأنباء؟!.. مالطة! (وضرب كفًّا بكف).
- النفي إلى مالطة، لم يعد أحد منهم بيننا، نفوا سعداً وأصحابه إلى مالطة." [٥١].

أثار نفي سعد وأصحابه في نفس (السيد أحمد عبد الجواد) وأصدقائه ما خامرهم منذ الصبا من ذكريات قديمة آسفة عن عرابي باشا ونهايته؛ فتساءلوا وهم لا يمتلكون قلوبهم من الجزع: "أيجري نفس المصير على سعد زغلول وصحبه؟"[٥٢]. وهكذا "كان للحكم الاستبدادي الظالم آثاره السلبية المدمرة في نفسية الإنسان المصري،حيث قتلت فيه الشجاعة والنخوة، وزرعت بديلهما الحقد واللامبالاة، وكان دائماً يتم استبعاد الشعب المصري عن المشاركة السياسية الحقيقية؛ من خلال حكم استبدادي ظالم. [٥٣].

وقد شعر (السيد أحمد عبد الجواد) وأصدقاؤه بالقهر من استبداد الإنجليز وقهرهم للشعب المصري ونفيهم لسعد زغلول وصحبه؛ "شعر السيد بحزن لم يشعر بمثله من قبل، حزن ثقيل

---

٥٠ – نجيب محفوظ: بين القصرين، ص٤٩-٥٠.

٥١ – المصدر نفسه، ص ٤١٠ – ٤١١.

٥٢– المصدر السابق، ص٤١١.

٥٣– انظر شوقي جلال: التراث والتاريخ، سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٥م، ص ص ٨٠ -٨١.

غليظ شاع في صدره كما يشيع الغثيان، عانى تحت وطأته خموداً وهموداً واختناقاً وجعلوا يتبادلون نظرات ساهمة واجمة، ناطقة بغير لسان، صارخة بلا صوت، ثائرة بلا صخب، وفي الريق مرارة واحدة"[٥٤]. وفي مساء هذا ذلك اليوم – "ولأول مرة منذ ربع قرن أو يزيد – بدا مجلس الإخوان مجافياً للهو والطرب يغشاه الوجوم، وتتجه أحاديثه جميعاً إلى الزعيم المنفي. قهرهم الحزن"[٥٥]. ورغم حالة القهر التي شعر بها (السيد أحمد عبد الجواد) وأصحابه فإنهم انتهوا في نهاية الأمر إلى حالة اللامبالاة، وقرروا الذهاب إلى سهرات الرقص والطرب كعادتهم اليومية؛ ورضخوا إلى رأي السيد الذي قال: "إن اللهو لا يغير ما بقلوب الرجال!"[٥٦]. ، وعلي الرغم من الجهود المضنية التي بذلها الإنجليز للقضاء علي الوعي القومي في مصر، ظل الوعي قوياً نتيجة لتقدم الحركة الفكرية؛ حيث كانت الطبقة المثقفة متمثلة في أصحاب المهن الحرة والطلاب وأعضاء هيئة التدريس والموظفين والعسكريين قوة ثورية لعبت الدور القيادي في الحركة الوطنية، وكانوا نواة للنهوض الاجتماعي والسياسي والثقافي في المجتمع المصري آنذاك[57].

وامتدت حالة القهر إلى كل المجتمع بسبب قمع الانجليز للشعب المصري، وخاصة بعد نفي الزعيم الثائر(سعد زغلول) وأصحابه. وفي رواية بين القصرين عبر نجيب عن قهر الانجليز للمجتمع من خلال أسرة السيد أحمد عبد الجواد؛ حيث استقبلت أسرة السيد أحمد خبر نفي (سعد زغلول) بكثير من الحزن والقهر، وانطلق(فهمي) في حديث ثوري والدموع في عينيه، واستمع إليه (ياسين) آسفاً حزيناً، وانتقلت عدوى الحزن والقهر معاً إلى باقي أفراد الأسرة، وانفجر (فهمي) في ثورة وغضب قائلًا:

- "يا لهم من أوغاد هؤلاء الإنجليز!
- (...)

٥٤- نجيب محفوظ، بين القصرين، ص٤١١.

٥٥- المصدر نفسه، ص٤١٢.

٥٦- نفسه ص٤١٣.

57- انظر سيد سامي محمد خاطر: أثر المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية علي علاقة المخرج بالإبداع المسرحي في مصر في الفترة من ١٩٦١-١ ٩٨٠، أكاديمية الفنون، المعهد العالي للفنون المسرحية، القاهرة، القاهرة، رسالة ماجستير غير منشورة ،١٩٦٩م، ص٤٩.

- إذا لم نقابل الإرهاب بالغضب الذي يستحقه فلا عاش الوطن بعد اليوم..."[٥٨].

كما تناولت الرواية في أكثر من حدث من أحداثها كيف كان الاحتلال الإنجليزي يستعبد المصريين ويقهرهم، وكيف كان يحظر تجوال المصريين في الشوارع، ويعاقب كل من يخالف قراراتهم أشد عقاب، وكثيراً ما كان يضطر (السيد أحمد عبد الجواد) للجلوس في البيت وغلق متجره؛ خوفًا من عقاب الإنجليز له أو لأحد أفراد أسرته. كما تناولت الرواية دور المثقفين في مقاومة الاحتلال الإنجليزي،"فالمتصفح لتاريخ مصر الحديث سيلمس من غير شك كيف كان المثقفون في أغلب الأحيان قوة ثورية لعبت الدور القيادي في الحركة الوطنية ومركز النهوض الاجتماعي والسياسي والاقتصادي"[٥٩]. وتناولت الرواية أيضًا الأحداث التي سبقت ثورة ١٩١٩م، التي قام بها الشعب المصري، هذه المظاهرات التى استشهد فيها (فهمي) ابن (السيد أحمد عبد الجواد)، وقد عبر (نجيب محفوظ) عن مرحلة التنوير التي سبقت ثورة ١٩١٩م؛ تلك المرحلة "التي تابعها محفوظ في مظاهراتها وهو طفل من شرفة منزله (بيت القاضي) بحي الجمالية، وقد سجلها ببراعة معجبة في ثلاثيته الخالدة بين القصرين – قصر الشوق – السكرية"[٦٠].

من السطور السابقة تستخلص الباحثة أن صور القهر للشخصية المصرية تتجلى في وقوعها تحت سطوة الخوف من السلطة الحاكمة، إذ لم يعد للمصريين دور أو فاعلية في بناء مجتمعهم، واختيار صورة مستقبل حياتهم، كما تستخلص الباحثة أيضًا أن رواية "بين القصرين" ليست رواية اجتماعية فقط، بل هي رواية سياسية كذلك، لأن مؤلفها تناول فيها نظام الحكم في مصر إبّان الفترة التي تدور فيها أحداث الرواية، وبالفعل نجد أن(نجيب محفوظ)طبق مقولته في رواية (بين القصرين) حيث لحظت الباحثة أن الوجه الاجتماعي في الرواية لا ينفصل عن الوجه السياسي، " حيث نلحظه يواقع ذلك المجتمع بقضايا اجتماعية راكزة تخص الفرد والمجتمع بأسره،ثم في الوقت نفسه نلحظه يغلف تلك القضايا بإطار سياسي محرك تنطلق فيه الأحداث وتصوغ رؤيته الأدبية عن ذلك المجتمع بجملة قضاياه.

---

[٥٨]- نجيب محفوظ: بين القصرين، ص٤١٤.

[٥٩]- لبلبة فتحي خليفة السيد: تجليات فكرة القهر في مسرح محمود دياب، أكاديمية الفنون، المعهد العالي للنقد الفني، القاهرة، رسالة دكتوراه، غير منشورة، ٢٠٠٩م، ص٦٥.

[٦٠] - أسامة الألفي: نجيب محفوظ من الجمالية إلى نوبل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٢م، ص٥٠.

خامسًا: قهر السيد أحمد عبد الجواد لنفسه:

تعد الشخصية الروائية الركيزة الأساسية للرواية؛ لأنها المحور الذي تدور حوله الأحداث ،و(السيد أحمد عبد الجواد) هو الشخصية المحورية في رواية (بين القصرين)، ورغم أن (السيد أحمد عبد الجواد) هو السلطة القاهرة في هذه الرواية فإنه تعرض هو نفسه إلى القهر، حيث تعرض للقهر من أبيه، فقد كان أبو (السيد أحمدعبد الجواد) يعامله بجفاء وقسوة،هو في طور الطفولة، وفي هذا الصدد يقول (السيد أحمد عبد الجواد): "كان أبي رحمة الله عليه يلتزم في تربيتي شدة تهون إلى جانبها شدتي مع أبنائي"[٦١]. كما تعرض للقهر من ابنه (فهمي)، عندما رفض الانصياع له عندما طالبه بضرورة الابتعاد عن الاشتراك في لجان مقاومة الانجليز؛ حيث سبب هذا التمرد من الابن ألمًا نفسيًا كبيراً للأب، لأن الأب لم يتعود ذلك من أبنائه، فلم يسبق أن عصاه أحد من أسرته أمراً، وهذا الأمر جعله يكاد يجن، وأصبح يتحدث إلى نفسه مستغرباً قائلًا: "قال لي (لا) لأول مرة في حياته، قالها بدموعه ولكن سيان عندي. المعنى واحد، لم أقل لأمه، لن أقول لها، أأكشف لها عن عجزي؟ أأستعين بضعفها بعد أن أخفقت بقوتي؟ كلا .. لتبقى جاهلة بكل شيء"[٦٢].

كما تعرض (السيد أحمد عبد الجواد) للقهر من زوجته الأولى (هنية) أم ياسين، عندما رفضت الرضوخ لقهره لها، ورفضت أوامره وشخصيته الاستبدادية، فقد عرته (هنية) أمام ذاته عندما حجمت شخصيته الاستبدادية. إن (هنية) تلك المرأة الشهوانية التي تميل إلى الاستبداد والتسلط على الرجال بأنوثتها وجمالها، كما هى الحال بالنسبة (للسيد أحمد عبد الجواد) الذي يميل إلى فرض شخصيته الذكورية المتسلطة وفحولته على النساء، وهنا حدث التصادم والشقاق بين الأنداد في أرض الواقع الذي ترجمه الفراش بينهما، فكل منهما يريد فرض نفوذه الشهواني ومزاجه الجنسي على الآخر، مما كان سبباً في استحالة الوفاق بينهما؛ حيث لم يستسلم أحدهما لقهر الآخر له"[٦٣].

---

[٦١] – نجيب محفوظ: بين القصرين ، ص٣٣٦.

[٦٢]– المصدرالسابق ، ٥٢٦.

[٦٣]– محمد طلعت الجندي: الرؤية الثورية في الرواية المصرية والكورية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٦م، ص٦٤.

وكما كان(السيد أحمد عبد الجواد) يقهر النساء العاهرات، ويلتهم أجسادهن تحت سطوة المال ، تم قهره هو ذاته من قبل هؤلاء العاهرات أنفسهن؛ فعندما هجر السيد جليلة العالمة وراح إلى غريمتها (زبيدة العالمة)، سبب لها هذا التصرف نوعاً من الغضب ، ولكنها انتهزت فرصة تواجدها لإحياء فرح ابنته، وراحت تنتقم منه؛ حيث فضحته أمام الجميع، وقالت بصوت عال: "أشهدكم يا رجال على الرجل الذي لم يكن يبتل صدره حتى يغرز فردة شاربه في سرتي، انظروا كيف لا يطيق الآن رؤيتي"[٦٤]، كما أعلنت للجميع أنه يعاشر (زبيدة" العالمة) في الحرام مقابل المال؛ حيث قالت له بصوت جهوري أمام جميع حضور الفرح من الرجال:

- لماذا تتظاهر بالتقوى بين أهلك وأنت بركة فسق!.
- (...)
- لا تنس أن تبلغ تحياتي إلى القارحة ونصيحتي إليك – بحق الأخوة – أن تغتسل بعدها بالكحول لأن عرقها مصاص للدماء.[٦٥].

ومن أشد أنواع القهر الذي تعرض له (السيد أحمد عبد الجواد) هو قهره على أيدي الإنجليز؛ حيث شاء حظه السيء أن يصادفه جندي من جنود الاحتلال الإنجليزي، ويقع (السيد أحمد عبد الجواد) فريسة لهذا الجندي، وهو خارج من بيت جارته (أم مريم)، الذي كان يقضي معها أوقاتاً من المتعة المحرمة، فأمره هذا الجندي بلغة لم يفهمها (السيد أحمد عبد الجواد) بأن يتوقف، فتوقف مرتاعاً، وجعل يرقب اقترابه بقلب خافق وحلق جاف، وأشار له الجندي وهو يصوب سلاحه إليه بأن يسير أمامه؛ فحملق (السيد أحمد عبد الجواد) في وجهه بيأس واستعطاف وهو يعاني مرارة العجز عن التفاهم معه كي يقنعه ببراءته مما يتهمه به أو يعرف على الأقل ما يريد، ولكن الجندي جذبه بقوة ليسير أمامه، فاستسلم (السيد أحمد عبد الجواد) ومفاصله تكاد تسيب إلى المقادير، وسار أمام الجندي وهو يتوقع في أية لحظة أن ينقض عليه بخبطة تهوي به إلى النهاية، فمضى بفم مطبق من الخوف، حتى بوغت بوميض يجذب بصره إلى أسفل، فكاد يصرخ كالأطفال من الهلع،

[٦٤]- نجيب محفوظ: بين القصرين، ص٣١٦.

[٦٥]- المصدر السابق، ص٣١٧.

وقد تهاوى قلبه، ولكنه تبينه دائرة من الضوء تذهب وتجئ، فأدرك أنها شعاع من بطارية أضاءها الجندي ليتعرف على طريقه في الظلام.

وسار (السيد أحمد عبد الجواد) أمام الجندي وهو لم يستشعر نسمة راحة حتى تلقفه خوفه الأول، خوف الموت الذي يساق إليه، فعاد يترقب حتفه بين لحظة وأخرى كأنه غريق توهم في تخبطه أنه يرى تمساحاً يتوثب لمهاجمته، وفي هذا السياق يسرد الراوي قائلًا: "فيم القبض عليه هو مثلًا؟ لا هو من الثوار ولا من المشتغلين بالسياسة ولا حتى من الشبان فهل يطلعون على الأفئدة ويحاسبون على المشاعر؟.. أو تراهم يعتقلون أفراد الشعب بعد أن فرغوا من اعتقال الزعماء؛ لو كان يعرف الإنجليزية فيسأل آسره؟ أين فهمي وياسين وكمال وخديجة وعائشة وأمهم؟ هل يمكن أن تتصور أسرته ما آل إليه حاله من هوان وهي لم تره إلا جباراً عزيزاً جليلًا؟ هل تتصور أن جندياً دفعه بعنف حتى أوشك أن يطرحه أرضاً وأن يسوقه كما تساق السائمة؟ وجد لذكر آله ألماً وحنيناً فكادت تدمع عيناه"[٦٦]. وانتهى الجندي (بالسيد أحمد عبد الجواد) إلى جمع من المصريين – تم جلبهم من الشوارع عنوة مثله– وهم يعملون تحت تهديد السلاح لردم حفرة كبيرة كان الثوار قد حفروها لقطع أحد الطريق على الإنجليز؛ حيث كان الإنجليز يسيطرون على كل مقاليد كل شيء في مصر وقتذاك، وكانوا يستخدون كل وسائل القهر والاستعباد ضد الشعب المصري، أما أقسى أنواع القهر الذي تعرض له (السيد أحمد عبد الجواد) هو قهره على استشهاد ابنه (فهمي) على يد الإنجليز، فقد تلقى خبر قتل ابنه برصاص الاحتلال الإنجليزي بأشد أنواع الحزن والقهر، وتلقى كلمات الرثاء فيه بأذن أصمها الشقاء على حين ختم الصمت شفتيه واسترسلت عيناه في نظرة شاردة غائبة، وهو لا يصدق أن ابنه قد مات حقًا، وأخذ يهذي قائلًا: "... لم يعد ثمة أمل في الصبر .. الصبر؟.. آه.. هل تشعر بوخز الألم الحاد؟ هذا هو الألم حقًا.. كنت تخدع أحياناً فتزعم أنك متألم. كلا . لم تتألم قبل اليوم، هذا هو الألم حقًا"[٦٧].

نستخلص من ذلك المبحث أن (السيد أحمد عبد الجواد) ذاق القهر نفسه الذي فرضه على الآخرين،عبر أسرته وعالمه الماجن الخاص،وعوالم المجتمع الأخرى ،لكنه لم يلبث أن تذوق هو

[٦٦] – نجيب محفوظ: بين القصرين، ص ٥٢١ –٥٢٢.

[٦٧] – المصدر نفسه، ص٥٨٥.

نفسه مما أذاقه للآخرين وبنسب متفاوتة،مما يعكس حالة المجتمع ،بل الواقعية التي كشف (نجيب محفوظ)عبر تلك الشخصية الرئيسة.

سادسًا: قهر أم ياسين لإبنها ياسين:

لم يذهب (ياسين) لقهر أبيه بإرادته الحرة، بل ذهب إلى أبيه مرغمًا، ذهب بعد أن شعر بقهر أشد من قهر أبيه، لقد قهرته أمه – دون تعمد منها – قهرًا شديدًا؛ حيث كان (ياسين) يعيش معها حتى انتقل إلى أحضان أبيه، وهو لا يزال في التاسعة من عمره. والحقيقة أنه كان قد انتقل إلى أبيه بإرادته الحرة، بعد أن شعر بالقهر الذي سببته له والدته، بسبب تصرفاتها وسلوكها المشين؛ فقد أدرك، برغم صغره، أن أمه تعاشر الرجال، وكانت بداية إدراكه لطبيعة سلوك والدته المشين، عندما اطلع فجأة على ذلك الشخص الطارئ، وهو يفترس أمه، "فما تمالك أن صرخ من أعماق قلبه وولول باكيًا حتى أقبلت المرأة عليه في اضطراب باد وراحت تطيب خاطره وتسكن ثائره"[٦٨]. وكانت هذه الواقعة هي الأولى من وقائع كثيرة مشابهة شاهدها بأم عينه بعد ذلك، ولكن هذه الواقعة كانت تزيده قهرًا كلما تذكرها؛ لأنه شارك فيها دون أن يدرك بعقله الصغير؛ فقد كان هذا الرجل المفترس يتردد على أمه في منزلها بشكل متكرر، بل كانت أمه – إذا غاب الرجل عن البيت أيامًا – ترسله إليه ليدعوه إلى أن يحضر "الليلة"!، وكان الرجل يستقبله بلطف ويملأ قرطاسًا من الموز والتفاح، ويحمله موافقته أو اعتذاره كيفما اتفق، "ثم بلغ به الحال أنه إذا اشتاق إلى لذيذ الفاكهة استأذن أمه في أن يذهب إلى الرجل ليدعوه الليلة، ذكر هذا وجبينه يندى خزيًا ثم نفخ في قهر، ثم صب وجرع"[٦٩].

لم يكن هذا الرجل – الفكهاني – هو الوحيد الذي شاهده (ياسين) في أحضان أمه، بل كان هذا هو الرجل الأول الذي أدركه عقله الصغير، ثم بعد ذلك أبصر عقله ما تفعله أمه، وكلما مرت به السنون كلما زاد قهره من سلوك أمه؛ فقرر – رغم صغر سنه – أن يتركها ويذهب؛ ليعيش في كنف أبيه وهو مازال في التاسعة مفضلًا قسوة أبيه في تربيته عن تدليل أمه له؛ لأن هذا التدليل كان يصاحبه قهر بسبب أمه وسلوكها المشين. ورغم تركه لأمه فإنّ قهره كان يزداد كلما ازداد

[٦٨] – المصدر السابق، ص٩٢.

[٦٩] – المصدرنفسه، ص٩٣.

إدراكه لحقائق الأشياء، وكلما تقدم به العمر في الحياة خطوة بدا له الماضي سلاحاً مسموماً منغرساً في صميم نفسه وكرامته، وقد دأب أبوه في بداية الأمر على أن يسأله عن حياته في بيت أمه، ولكنه على حداثة سنه تحاشى نبش الذكريات المحزنة، وغلب كبرياءه الجريح على الرغبة في حب الثرثرة الذي يستهوي أمثاله من الغلمان، ولزم الصمت حتى ترامى إليه عن زواج أمه من تاجر فحم بالمبيضة فبكى طويلًا، ثم ترامى إليه نبأ طلاقها من هذا التاجر وزواجها من باشجويش في العام التالي لطلاقها، ثم طلاقها منه وزواجها بآخر، وهكذا، حتى وصلت به الحال أن أغلق أذنيه عن سماع أخبارها، واحتسبها غير موجودة في حياته؛ فأغلق دونها باب العفو والغفران، وأقام وراءه متاريس حنق وكراهية مؤمناً بأنه لم يظلمها؛ وراح يحدث نفسه قائلًا: "امرأة. أجل ما هي إلا امرأة .. وكل امرأة لعنة قذرة .. لا تدري امرأة ما العفة إلا حين تنتفي أسباب الزنا .. حتى امرأة أبي الطيبة، الله وحده يعلم ماذا كان يمكن أن تكون لولا أبي!. ... كل شيء ملوث في هذه الحياة ومن يزح الستار ير عجباً."(٧٠).

إن (أم ياسين) لم تقهر ابنها وهو في بيتها فقط، بل قهرته وهو بعيد عنها في بيت أبيه، وقهرته وهو في طور الشباب أيضاً، قهرته بسلوكها المشين وزواجها المتكرر؛ حيث كانت أخبارها تصل إليه دون تحرّ منه، وكان آخر أخبار نزواتها الناشزة هي زواجها من شاب لم يتجاوز الثلاثين من عمره، وكان نبأ هذا الزواج الأخير كالخنجر في صدر الشاب العشريني؛ فذهب إلى أبيه يشكوه قهر والدته له:

- "ومن أدراك بهذا؟
- قريبها الشيخ حمدي، زارني اليوم بمدرسة النحاسين وألقى عليَّ الخبر مؤكداً بأنه سيتم في ظرف شهر.
- (...)
- وممن تتزوج!.. من شخص يدعى يعقوب زينهم صاحب مخبز في الدراسة.. في الثلاثين من عمره!.(٧١).

---

٧٠ – المصدرالسابق ص٩٥.

٧١ – المصدر نفسه ، ص ١٢٤– ١٢٥.

واشتد انفعال ياسين وتهدج صوته وهو ينطق العبارة الأخيرة كأنما يلفظ شظية، فانتقل إحساسه إلى أبيه تقززًا واشمئزازًا، وجعل يردد في سره: "في الثلاثين من عمره .. يا له من عمل فاضح .. إنه فسق في ثياب زواج"[٧٢]. ورغم أن المرأة تزوجت أكثر من مرة، وأن هذا الفعل تعود عليه ابنها ياسين، ورغم أن الزواج – في نظره – أشرف سقطاتها، إلا أن هذا الزواج الجديد المتوقع كان أفظع من سوابقه وأمعن في قهره؛ لأن أمه تجاوزت الأربعين من ناحية، وهو قد تجاوز العشرين من ناحية أخرى وأصبح شابًا مدركًا بوسعه إذا شاء أن يدفع عن كرامته الإساءة والقهر.

والخلاصة أن (أم ياسين) تعد هنا نموذجًا قاهرًا مقهورًا،قاهرًا؛لأنها تجاوزت حدود المرأة المحافظة إلى المرأة المتحررة ،بفعل الواقع ممثلًا في تربيتها أو ،ومقهورًا؛لأنها مغلوبة على أمرها،نتيجة لعوامل أخرى تبدأ من أسرتها وتمر بصديقاتها،وانتهاء بزواجها بل قهرها من زوجها (السيد أحمد عبد الجواد).

سابعًا: قهر ياسين لأمه:

كما قهرت (أم ياسين) ابنها (ياسين) قهرها ابنها أيضًا؛ فهو قد هجرها وهو في التاسعة من عمره، وحرّم نفسه عليها، وامتنع عن أن تراه طوال احد عشر عامًا كاملة؛ حيث قهرها حينما حرمها منه، وجعلها تتألم لفراقه وعدم رؤيته رغم قرب المسافة بينهما. ولم يفكر في رؤيتها ولو مرة واحدة طيلة احدى عشر عامًا. ولم يفكر في زيارتها إلا وهو في العشرين من عمره، عندما ذهب إليها لكي يمنعها من زواجها من رجل يصغرها بعشرة أعوام:

- "ياسين!.. ابني!.. كيف أصدق عيني؟!.. ربي.. صار رجلًا!(...)
- (...)
- قالت لي، ياسين هنا، قلت ياسين! من يكون هذا؟! ولكن من يكون غيره؟ ليس لي إلا ياسين واحد، ذلك الذي حرم بيتي على نفسه وحرم نفسه عليَّ، فماذا حدث؟ وكيف استجاب الدعاء آخر الدهر؟! وجئت عدواً كالمجنونة لا أصدق أذني، وها أنت دون غيرك والحمد لله، تركتني غلاما وعدت إليَّ رجلا، كم قتلني الشوق إليك وأنت لا تحس لي وجوداً.(...).
- (...).

[٧٢] – نفسه ، ص١٢٥.

- آه يا ربي لا أصدق عيني، أنا في حلم، هذا ياسين!.. أي عمر ذهب هباء، كم دعوتك ورجوتك، وبعثت إليك الرسول تلو الرسول، ماذا أقول؟.. دعني أسألك كيف قسى قلبك عليَّ لهذا الحد؟.. كيف أعرضت عن دعواتي الحارة؟ .. كيف تصاممت عن نداء قلبي المكروب؟.. كيف.. كيف؟.. كيف نسيت أن لك أماً منزوية هنا؟. (...).
- لماذا لا تتكلم؟. (...).
- ذكرتك كثيراً، ولكن آلامي كانت أفظع من أن تطاق. (...).
- (...).
- لا تلج في تعذيبي وأنت وحيدي [٧٣].

وقد لاحظت الباحثة أن (نجيب محفوظ) استخدم الحوار الدرامي هنا ووظفه عبر مقابلة ياسين لأمه، وترى الباحثة أن هذا كان رائقًا؛ لأن هذا الحدث كان حدثًا متوتراً ومليئًا بصراع الأضداد، أي بين الشخصية والشخصية المضادة لها، ويكون هذا الصراع قابلًا للانفجار؛ مما يستدعي وجود حوار درامي. ورغم المشاعر الفياضة التي استقبلت بها الأم ابنها، وسعادتها الغامرة برؤيته بعد هذا الغياب الطويل فإنّ ياسين لم يبادل أمه بأيّة عاطفة، بل وقف جامداً لم يرق قلبه ولم تلن عاطفته تجاه أمه، بل صدمها في مشاعرها، عندما أباح لها عن سر زيارته لها، عندما قال لها إنه جاء ليمنعها من زواجها من رجل يصغرها بعشر سنوات؛ فلاذت بالصمت وكتمت قهرها في صدرها، وجعلت تلحظه بقلق كأنما تستخيره عما يطويه في صدره، فلما ثقل عليها صمته قالت متشكية: "لا تلح في تعذيبي وأنت وحيدي"[٧٤]. ولم يرحمها (ياسين)، وزاد من تعذيبه وقهره لها، عندما أصر أن ترضخ لأمره الذي جاء يأمرها به،وعليها أن تنفذه على الفور، وهو أن تعدل عن فكرة زواجها الأخير وألا تفكر في الزواج مرة أخرى:

- "أعني أن تلغي مشروع الزواج الجديد، وألا تسمحي لنفسك بمعاودة التفكير في شيء من هذا القبيل..."[٧٥].

---

[٧٣] – المصدر السابق ص ١٣٤ – ١٣٨ .

[٧٤] – المصدر نفسه ص١٣٨.

[٧٥] – نفسه، ص١٣٩.

ونزل هذا الأمر على نفس الأم كأنه جلمود صخر حطه السيل على رأسها؛ فأطرقت في حزن بالغ، ولازمت الإطراق كأنما أخذتها سنة من النوم، ثم رفعت رأسها في بطء، فلاح الحزن في وجهها أعمق مما قدر ثم قالت له:

- "ما رأيت ابنًا أقسى منك!.. أهذا خطابك لي بعد فراق أحد عشر عامًا!. (...)
- الأم الخاطئة خليقة بأن تلد ابنًا قاسيًا.
- لست خاطئة .. لست خاطئة .. ولكنك قاس غليظ القلب كأبيك.(٧٦).

إن الأم هنا أيقنت أن ابنها لم يعد يعدها أمًا له، وأنه خلعها من حياته، فغممت في يأس قائلة: "أنت في الحق لم تعدني أمًا لك، ... ما دمت قد خلعتني من نفسك فيجدر بك أن تدعني وشأني"(٧٧).

ولم يدع (ياسين) في شأنها بل سبّها قائلًا: "يالك من إمرأة مجرمة"(٧٨)، وقد خطر له أن يلطمها بأفظع السباب والشتائم في شرفها وعرضها، لكن لسانه لم يتحرك، التصق بسقف حلقه، وتراجع عما كان ينتويه، ولكنه اكتفى بسبها، وهو خارج من عندها بلا عودة:

- يالك من امرأة مجرمة!
- (...)
- وددت لو أستطيع قتلك.(٧٩).

وشعرت الأم بقهر الابن لها فغضت بصرها عنه وقالت في قهر وحزن بالغين: "لو فعلت لأرحتني من حياتي".(٨٠).

إن الأم هنا قُهرت بفعل الزمن والواقع قبل ابنها،حتى وإن كان (ياسين) ابنها ذهب إليها مستعطفًا إياها بعدم الزواج،والتراجع في أمره ،غير أنه يعكس صورة والده المستبد المتسلط، ولم يسألها عن سر هذا الزواج وظروفه وأسبابه، وكان(نجيب محفوظ) يحاول أن يركب موقف ذلك القهر بفعل الأب والابن والزمن والواقع معًا.

---

٧٦ – نجيب محفوظ: بين القصرين ،ص١٤٠.

٧٧ – المصدر نفسه، ص١٤١.

٧٨ – نفسه، ص١٤١.

٧٩ – نفسه، ص ١٤١ – ١٤٢.

٨٠ – نفسه،، ص١٤٢.

ثامنًا: استبداد (السيد أحمد عبد الجواد) وقهره للنساء العاهرات:

يصف (نجيب محفوظ) النساء المتحررات في رواياته بقوله: "هناك منحرفات فاضلات ومنحرفات غير فاضلات، والواقع أن كثيراً من المنحرفات في رواياتي، يرجع انحرافهن إلى أسباب اجتماعية، المتهم وراءهن ليس سلوكهن بقدر ما هو المجتمع الذي يعشن فيه، إن الغالبية العظمى منهن يرتكبن الإثم بسبب الفقر"[٨١]، وفي رواية (بين القصرين) استغل (السيد أحمد عبد الجواد) ثراءه وأمواله في قهر النساء المنحرفات، إذ كان يستغل حاجتهن، ويغدق عليهن، مقابل استغلال أجسادهم وبعد أن يُشبع شهوته الجنسية منهن، يتركها ويتعرف على غيرها. فعندما أشبع رغبته من (جليلة) تركها ذليلة وذهب إلى (زبيدة):

- "لعنة الله على وجهها وصوتها معًا! ..
- (...)
- ألا تستحق جليلة كلمة أرق وألطف؟.. أم هذا شأنك عند ذكر من قاطعهن من النساء؟!.[٨٢].

إن (السيد أحمد عبد الجواد) لم ير في أية امرأة إلا جسداً، ولكنه لم يكن ليحني هامته لهذا الجسد حتى يجده متلذّذًا حقًا بأن يرى ويلمس ويشم ويذاق ويسمع. وقد يرى بعض الباحثين أن شخصية (السيد أحمد عبد الجواد) هي شخصية شريرة؛ لأنه مستبد بل قاهر، ولكن الباحثة ترى أنه ليس شريراً برغم استبداده وقسوته الشديدة مع أبنائه؛ لأن (السيد أحمد عبد الجواد) لم يمارس شيئًا يضر بالمتلقي، بل كان يربي أبناءه كما رباه أبوه، وكان يعتقد أن هذه التربية هي أفضل تربية، كما أن ممارسته الرذيلة مع العاهرات لم يؤذِ بها أحداً غير نفسه، فقد كان يمنع نفسه من الاعتداء على حرمات الناس، أما العاهرات فكنَّ يرتضين البغاء، وكانت الحكومة تصرح به كمهنة لبعض السيدات في زمن أحداث الرواية.

نستخلص هنا أن(السيد أحمد عبد الجواد) لم يكتف بقهر زوجته أو أبنائه وبناته وكل أسرته، بل راح يمتد بقهره إلى خليلاته أو جليساته أوعاهراته اللائي يختلج إليهن ليله ونهاره، وقد

---

[٨١]- فوزية العشماوي:المرأة في أدب نجيب محفوظ (مرجع سابق)، ص١١٦.

[٨٢]- نجيب محفوظ: بين القصرين، ص١١١.

تجلّت تلك الصورة بشكل لافت للنظر ؛لأنها كان يعيش النقيض في تعامله معهن بين حال وأخرى، وما كان ذلك إلا تأكيداً لدور الشخصية المحورية وتفاعلها الدرامي المتضارع والمتصاعد إزاء أحداث تلك الرواية.

البناء الفني (الرواية بين القصرين):

جاءت جميع أحداث تلك الرواية بشكل منطقي ومتسلسل بما يبرهن على وجود حبكة روائية دالة وفاعلة؛ وقد استخدم (نجيب محفوظ) في سرد روايته (بين القصرين) أسلوب السرد الوصفي الآني الدال. وقد كان كاتبنا الكبير مهتماً بتحديث الأسلوب في مؤلفاته؛ حيث "كان تحديث الأسلوب هاجساً سيطر عليه في الفترة التي كان منغمساً فيها باستعمال القوالب القديمة ومتمسكًا بأصالة العبارة، وكان يعتبر أن الحداثة لا بد لها من أن تعبر أولًا من باب التراث. كانت مهمة المبدع كما يرى (نجيب محفوظ) أن ينفض عن القديم وجه الرثاثة والركاكة. وأن يستبدله بوجوه النضارة والانبهار والانبعاث"[٨٣]، كما استخدم (نجيب محفوظ) أسلوب الاسترجاع أو الارتداد الفني، وهو يعني "أن الكاتب يعمد عن طريق شخصية مركزية تتسم بالحركية تسمى الشخصية الفنية النامية إلى قطع الموقف الآني أو المشهد الراهن، الذي يتسم بالغموض، أو التعقيد، أو الرداءة، أو بلوغه ذروة اليأس، أو بوصوله إلى لحظات مغايرة ذات ماض، إما بتنوير هذا المشهد الراهن، أو بتعميقه عن طريق استحضار ما أحاط به من ظروف وملابسات نوعية يشعر المؤلف أن المتلقي بحاجة إلى إيضاحها أو للتعليق عليها، ويكون ذلك بشكل انتقال مفاجئ"[٨٤]، ويقسم البنيويون الاسترجاع إلى جملة أبعاد، وهي: "الاسترجاع الخارجي الذي يعود إلى ما قبل بداية الرواية. والاسترجاع الداخلي الذي يعود إلى ماض لاحق لبداية الرواية قد تأخر تقديمه في النص. والاسترجاع المزجي وهو الذي يجمع بين النوعين السابقين"[٨٥]، وهذا الأسلوب الأخير واضح مع شخصية (ياسين)؛ حيث نجد (ياسين) يرجع إلى الماضي، ليسرد قصة طفولته مع أمه، ولماذا هجرها دون رجعة، ثم يحكي قهره وعذابه في الحاضر، ثم يعود مرة أخرى لحياته في الطفولة، ثم يعاود الكرّة،

[٨٣] – حسن يوسف طه: آفاق إنسانية عند نجيب محفوظ، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٧، ص١١٩.
[٨٤] – حسن البنداري: نجيب محفوظ.. لغة الضمائر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١١م، ص٢١.
[٨٥] – خالد عاشور: نجيب محفوظ .. البحث عن زعبلاوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص٢٥٠.

ويحكي حياته في الحاضر. وقد استخدم (نجيب محفوظ) لغة معربة فصيحة سهلة الفهم بعيدة عن التقعر والمعاظلة ، وعن الألفاظ الجزلة؛ وجاءت لغة الرواية لغة متفردة في جمالها مما أسهم كثيراً في زيادة متعة قراءتها. إن كاتبنا (نجيب محفوظ) يكتب روايته تلك بأسلوب معرب رصين، قد لا يتقنه أكثر القراء الذين يقرؤونه ويفهمونه، ومع ذلك فإنهم يتجاوبون معه"[٨٦]. وقد جاء السرد الروائي في رواية (بين القصرين) في كلمات وأحرف تتجاوز ملامح السرد المعتاد إلى السرد الرمزي الفلسفي العميق غير المنفلت عن الواقعية، "وهو أمر محير استطاع تجاوزه عبر أسلوب فني مبتكر لطرق الكتابة الحديثة"[٨٧].

إن أسلوب المحدث المؤسلب كان الهاجس الذي سيطر على كاتبنا الكبير(نجيب محفوظ) في الفترة التي كان منغمساً فيها باستعمال القوالب القديمة، ومتمسكًا بأصالة العبارة؛ حيث كان يعتبر أن الحداثة لا بد لها من أن تعبر أولًا من باب التراث"[٨٨]؛ لذلك لم يستخدم (نجيب محفوظ) الحوار بشكل كبير في روايته (بين القصرين)، واقتصر توظيفه للحوار على بعض الجمل الحوارية التي يصعب سردها روائيًا، أو لكي يعبر عن مقومات شخصيات روايته. أما من ناحية الصراع في تلك الرواية، فقد كان صراعًا متصاعداً بين إرادة (السيد أحمد عبد الجواد) وبين أفراد أسرته؛ حيث قهرت إرادته إرادة جميع أفراد أسرته.

والخلاصة هنا أن بناء تلك الرواية (بين القصرين) غدا بناءً محكماً،من حيث توالي الأحداث وتناسقها، فضلًا عن دراميتها وتصاعداً،والشخوص كذلك ـــــ وعلى رأسها شخصية (السيد أحمد عبد الجواد) بدت حاملة مسحة الصراع، فضلًا عن التنامي؛لأنها متمازجة بين القوة والضعف، والشدة واللين، فضلًا عن طبيعتها ووظائفها،كما أن الزمان والمكان كانا دالين على هذه الأحداث في جملتها، غلفت كل ذلك لغة روائية معربة مؤسلبة، تأخذ من التراث و تمتاح من المعاصرة،يزينها حوار خارجي مرة وداخلي مرة أخرى, لكنه يأخذ بلبات تلك اللغة ويعمق من منطقيتها وفاعليتها وتناسبها.

---

[٨٦] – محمد علي سلامة: الشخصية الدينية في أدب نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٦، ص٣٦.

[٨٧]– أحمد مصطفى علي: محفوظ وأحلامه التي لا تنتهي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٦م، ص٢٧.

[٨٨] – حسن يوسف طه: آفاق إنسانية عند نجيب محفوظ ، ص١١٩.

نتائج البحث:

- عبر (نجيب محفوظ) عن القهر والاستبداد الإنساني في أغلب أعماله الأدبية بطرق مختلفة.
- إن رفض (نجيب محفوظ) للقهر الإنساني جعله يعبر بصدق عن الصراع الكبير بين الثورة والاستبداد في روايته (بين القصرين).
- استطاع (نجيب محفوظ) أن يعبر عن أحلام الشعب المصري،وآلامه وطموحاته فضلًا عن تعبيره بصدق عن قهر الطبقة الشعبية الكادحة من هذا الشعب، سواء من قهر الفرد للفرد، أو من قهر السلطة الحاكمة للمحكوم.
- تبدو شخصية (السيد أحمد عبد الجواد) في رواية (بين القصرين) حاملة كل مقومات الشخصية المستبدة القاهرة.
- لم يستطع (السيد أحمد عبد الجواد أن يقهر زوجته الأولى (أم ياسين)،لهذا قام بتطليقها.
- زواج (أمينة) من (السيد أحمد عبد الجواد) وهي في سن صغيرة، وكذلك نشأتها في بيت يقدر الحياة الزوجية، وأيضا علاقتها القوية بربها وإيمانها بالقضاء والقدر، وكذلك عادتها وتقاليد المجتمع، وحبها لزوجها، من العوامل التي ساعدت في تحكم ذلك الزواج فيها.
- شخصية (أمينة) زوجة (السيد أحمد عبد الجواد) فى رواية (بين القصرين)، هي نموذج للمرأة العفيفة المحافظة، ورغم ذلك ذاقت أشد أنواع القهر والاستبداد من زوجها هذا.

ـــــــــــــ أمينة سيدة ربتها أسرتها تربية تتسم بالخنوع والمسكنة.

- يتجلى فن (نجيب محفوظ) الروائي في وصف مشاعر(أمينة)الخاضعة، المستكينة، المقهورة، التي تتلذذ بخضوعها لزوجها المستبد الظالم.
- تجسد شخصية أمينة التسلط الذكوري وأسر المرأة.
- تراكم عوامل القهر في شخصية أمينة بدءا من نشأتها وأسرتها ومروراً بزيجتها وانتهاء بزوجها.
- أظهرت الرواية أن (أمينة) مطيعة،تطيع زوجها بلا قيد أو شرط،وقد تفانت في طاعتها تلك.
- لقد وقر في نفس (أمينة) أن الرجولة الحقة والاستبداد والسهر إلى بعد منتصف الليل، وممارسة القهر على الزوجة صفات متلازمة لجوهر الرجل الشرقي.

- لم تأسف (أمينة) يوماً على ما ارتضت لنفسها من السلامة والتسليم، بل كانت تدعو لزوجها بالسلامة والتوفيق في كل وقت. كما أنها لم تكن ترى لنفسها الحق في أن تجلس إلى جانبه تأدباً، ولم تكن تتكلم إلا إذا دعاها هو للكلام.
- كان (السيد أحمد عبد الجواد) يمارس القهر بشكل متطرف على زوجته أمينة دون أي خطأ ارتكبته ولو كان خطأ يسيراً.
- من أنواع القهر في تلك الرواية، ذلك النوع الإنساني الأعلى، الذي يسمى بالنظام البطريركي، وهو النظام الرمزي للأب الرمزي الذي يبقى محتفظاً بالسلطة، ونجده متجذراً في المجتمعات الشرقية حيث تسعى إلى قتل حرية الإنسان باسم الأب أو كبير العائلة.
- كان (السيد أحمد عبد الجواد) يستغل سلطتة الأبوية ،ويقسو على أبنائه لدرجة القهر بل والذل أيضاً.
- تعرض (ياسين) ابنه الأكبر لأعلى نسبة من قهر أبيه، وكاد أن يموت كمداً وقهراً، عندما أجبره والده على تطليق زوجته.
- امتد قهر (السيد أحمد عبد الجواد) على ابنه(فهمي)، عندما رفض تزويجه من الفتاة التي كان يحبها، بل أجبره على ألا ينظر إليها ولا إلى أية فتاة أخرى. كما اضطره خوفه من أبيه أن يعيش حياته حبيس جدران غرفته أغلب أوقات حياته، كأنه مجرم محكوم عليه بالسجن المؤبد؛ مما سبب له حالة من القهر. كما تجلى قهر (السيد أحمدعبد الجواد) لابنه (فهمي) عندما عرف الأب أن ابنه هذا يشارك في لجان مقاومة الاحتلال الإنجليزي.
- استغل (السيد أحمدعبد الجواد) سلطته كأب وحرم ابنتيه من أغلب حقوقهما الإنسانية، مما سبب لهما حالة من القهر الإنساني.
- تسببت القسوة الشديدة في تربية (السيد أحمد عبد الجواد) لابنه (كمال) في شعور الطفل الصغير بالقهر.
- في رواية (بين القصرين) تتجلي صور القهر للمصريين في وقوعهم تحت سيطرة سلطة الاحتلال الأجنبي أثناء الفترة الزمنية التي تتناولها الرواية.

- أظهرت (رواية بين القصرين) صور القهر والاستبداد الإنساني للاحتلال الانجليزي للمجتمع المصري في الفترة الزمنية التي دارت فيها أحداث الرواية.
- أوضحت (رواية بين القصرين) دور سمات المرح والصبر والفكاهة والتدين والفهلوة واللامبالاة في تدعيم احتمال الطبقة الفقيرة المطحونة لجميع أنواع القهر والظلم والاستبداد الذي وقع عليهم من الإنجليز.
- أكدت رواية (بين القصرين) أن الاحتلال الانجليزي لمصر أدى إلى زياده خضوع وقهر الإنسان المصري.
- لا تحمل رواية (بين القصرين) السمت الاجتماعي فقط، بل هي رواية سياسية كذلك.
- رغم أن (السيد أحمدعبد الجواد) هو السلطة القاهرة في هذه الرواية، فإنه تعرض هو نفسه إلى القهر، فقد تعرض للقهر من أبيه، ومن ابنه فهمي، ومن زوجته الأولى (هنية)، ومن بعض العاهرات.
- من أشد أنواع القهر الذي تعرض له (السيد أحمد عبد الجواد) هو قهره من الانجليز. أما أقسى أنواع القهر الذي تعرض له هو قهره على استشهاد ابنه (فهمي) على يد الإنجليز.
- لم يذهب (ياسين) لقهر أبيه بإرادته الحرة، بل ذهب بعدما شعر بقهر أشد من قهر أبيه، وهو قهر أمه له.
- رغم ترك (ياسين لأمه فإنّ قهره كان يزداد كلما ازداد إدراكه لحقائق الأشياء، وكلما تقدم في الحياة خطوة بدا له الماضي سلاحًا مسمومًا منغرسًا في صميم نفسه وكرامته.
- كما قهرت (هنية) ابنها ياسين قهرها ابنها أيضًا.
- في رواية (بين القصرين) استغل السيد أحمد عبد الجواد ثراءه وأمواله في قهر النساء المتحررات المنحرفات .
- جاءت جميع أحداث رواية (بين القصرين) بشكل منطقي تسلسلي ،بما يبرهن على وجود حبكة روائية متنامية متجددة.
- استخدم (نجيب محفوظ) في سرد روايته (بين القصرين) أسلوب السرد الوصفي الآني، كما استخدم أيضًا أسلوب الاسترجاع النفسي أو الارتداد الفني.

- جاءت لغة الرواية لغة متفرد في جمالها، مما أسهم كثيراً في زيادة متعة قراءتها.
- جاء السرد الروائي في رواية (بين القصرين) في كلمات وأحرف تتجاوز ملامح السرد المعتاد إلى السرد الرمزي الفلسفي العميق غير المنفلت عن الواقعية،.
- لم يستخدم (نجيب محفوظ) الحوار بشكل متواصل مكثف في روايته (بين القصرين).
- تنتمي (رواية بين القصرين) إلى مذهب المدرسة الواقعية.

المصادر والمراجع:

أولًا : المصادر:

- نجيب محفوظ: بين القصرين، القاهرة، دار الشروق، ط١٥، ٢٠١٩م.

ثانيًا : المراجع العربية:

١- إبراهيم فتحي: نجيب بين القصة القصيرة والرواية الملحمية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠١٣م.

٢- أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٨٧م.

٣- أحمد رشدي صالح: فنون الأدب الشعبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م.

٤- أحمد مصطفى علي: محفوظ وأحلامه التي لا تنتهي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٦م.

٥- أسامة الألفي: نجيب محفوظ من الجمالية إلى نوبل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٢م.

٦- أسامة فرحات: المونولوج بين الدراما والشعر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧.

٧- الصادق قسومة: نشأة الجنس الروائي بالمشرق العربي، دار الجنوب للنشر، تونس، د.ت.

٨- أمينة رشيد: الأدب المقارن والدراسات المعاصرة لنظرية الأدب، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١١.

٩- حسن البنداري: نجيب محفوظ.. لغة الضمائر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١١م.

١٠- حسن عطية: سينما أمريكا اللاتينية .. نجيب محفوظ بعيون مكسيكية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٠.

١١- حسن يوسف طه: آفاق إنسانية عند نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٧.

١٢- حسين محمود: نجيب محفوظ.. أدبه في إيطاليا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٢م.

١٣- خالد عاشور: نجيب محفوظ.. البحث عن زعبلاوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٦م.

١٤- شوقي جلال: التراث والتاريخ، سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٥م.

١٥- طارق الطاهر: نجيب محفوظ بختم النسر.. سيرة تروى كاملة للمرة الأولى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٩.

١٦- عبد الباسط عبد المعطي: الطبقة الوسطي المصرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٦م.

١٧- عبد التواب حماد: السينما في أدب نجيب محفوظ، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣م. عبد الرحمن عدس، ومحي الدين توق: المدخل إلي علم النفس، عمان، الأردن ،مركز الكتب الأردني، ط٢، ١٩٩٣م

١٨- عبد الرحمن أبو عوف: القمع في الخطاب الروائي العربي، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، القاهرة، ١٩٩٩م.

١٩- عبد المحسن طه بدر: الرؤية والأداة .. نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة، ٢٠١٤م.

٢٠- علي صبيح التميمي: القهر ومشروعية سلطة الدولة، دار أمجد للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠١٦م.

٢١- فوزي الطاهر: نحو منهج جماهيري في النقد الأدبي، المنشأة العامه للنشر والتوزيع والاعلان، ليبيا، طرابلس، ١٩٨٣م.

٢٢- فوزية العشماوي: المرأة في أدب نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة السرة، القاهرة، ٢٠٠٥م.

٢٣- مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٦٠.

٢٤- محمد طلعت الجندي: الرؤية الثورية في الرواية المصرية والكورية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٦م.

٢٥- محمد عبد الرحمن مصطفى: الرمزية في الرواية المصرية بعد نجيب محفوظ، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠١٧م.

٢٦- محمد علي سلامة: الشخصية الدينية في أدب نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٦م.

٢٧- محمد عناني وماهر شفيق: نجيب محفوظ في عيون العالم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،٢٠٠٢ م.

٢٨- محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، مكتبة نهضة مصر، القاهرة ، ٢٠٠١م.

٢٩- محمود قاسم: صورة الأديان في السينما المصرية، المركز القومي للسينما، القاهرة، ١٩٩٧م.

٣٠- ــ مصطفى بيومي: القرآن الكريم في أدب نجيب محفوظ، دار الأحمدي للنشر والتوزيع، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٩م.

٣١- يحيى محمد محمود القفاص: صورة المجتمع المصري في أدب نجيب محفوظ بين الواقع والخيال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٧م.

٣٢- يوسف القعيد: نجيب محفوظ إن حكى ثرثرة محفوظية على النيل، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٥م.

ثالثًا : المراجع المترجمة:

١- باميلا الجريتو دييوليو: قفص الحريم، ترجمة: محمد عناني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١١م.

رابعًا : المراجع الأجنبية:

2- -Kim-UWG-LHL: The vocabulary of oppression in the old tertament :SOYNH, LH, and congeners. DREW University – 1981, pages; 6

خامسا: الدوريات والرسائل الجامعية والبحوث العلمية:

٣- سيد سامي محمد خاطر: أثر المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية علي علاقة المخرج بالإبداع المسرحي في مصر في الفترة من ١٩٦١-١ ٩٨٠، أكاديمية الفنون، المعهد العالي للفنون المسرحية، القاهرة، رسالة ماجستير غير منشورة ،١٩٦٩م.

٤- لبلبة فتحي خليفة السيد: تجليات فكرة القهر في مسرح محمود دياب، أكاديمية الفنون، المعهد العالي للنقد الفني، القاهرة، رسالة دكتوراه، غير منشورة، ٢٠٠٩م

٥- نهلة إبراهيم محمد :ملامح الشخصية المصرية بين الاستمرارية والتغيير، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الأسكندرية، ج.م.ع. ١٩٩٦م.